محمد سلامة جبر

حقيقة الإنسان

دار البحوث العلمية

الطبعة الاولى
القاهرة
١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

دار البحـــوث العلميـــة

الكويت — شارع فهـــد السالم
عمارة الاوقاف رقم ٤ شقة ٢٨
ص.ب ٢٨٥٧ — هاتف ٤١٤٢٢٠

حقيقة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

مقدمة

الحمد الله رب العالمين ، عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه (**وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) (١)** .

واسأل الله الصلاة والسلام على سيد ولد آدم الانسان الكامل الذى ختم الله به الرسالات واتم به النعمة على المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه الى يوم الدين .

وبعد :

فانت أيها الانسان خليفة الله فى الارض ان اسلمت ، والنائب فى تنفيذ احكامه ان عدلت ، وانت من سخر الله لك ما فى السموات والارض جميعا منه لو انك تدبرت .

من أجلك أيها الانسان خلق الله الاكوان .. لذلك كان الانسان آخر مخلوق ، ولذلك تقوم القيامة حين يموت

---

(١) النحل : ٧٨

المؤمنون ولايبقى فى الارض من يقول لا اله الا الله كما جاء فى الحديث الصحيح . (١)

فللانسان المؤمن خلق الله السموات والأرض ..

وبالانسان المؤمن استمر قيام السموات والارض ..

وبخلو الارض من الانسان المؤمن انهدت السموات والأرض ..

واذا كانت الامور ترد لكمالاتها ، وتساق لنهاياتها ، فالانسان هو المراد من خلق الأكوان ، والايمان هو المراد من خلق الانسان ، وكمال الايمان فى اكمل انسان هو الغاية من خلق الانسان ، واذا كانت هذه الغاية لم تظهر الا فى سيد الخلق بلا منازع فلا عجب اذا قال طائفة من علمائنا « من اجل محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق » .

واذا فهمت يااخى قوله تعالى « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » وعرفت أن المراد بالعبادة هنا توحيد الله ومعرفته ، أدركت عن قرب معنى كلامى ومرمى سهامى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا .

وهذا الكتاب بيان لبعض حقائق هذا الانسان الذى حارت فى فهمه عقول القاصرين عن الوصول الى أنوار

---

(١) لا تقوم الساعة حتى لايقال فى الارض (الله .. الله) مختصر صحيح مسلم رقم ٢٠٢٠

الشريعة العاكفين على عبادة اصنام لهم ، ان شئت سمها « اهواءهم » وان شئت سمها « شياطينهم » من الانس والجن ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

ونفسك التى بين جنبيك اقرب شىء اليك فان عرفتها كنت بغيرها أعلم وان جهلتها كنت بغيرها أجهل .

واسال الله ان يتقبل منى هذا العمل وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به عباده آمين .. وصلى الله على النبى الامين . سيد الانبياء والمرسلين .

محمد سلامه جبر

الفصل الأول

الإنسان مجهول أم معلوم؟

الانسان مجهول أم معلوم ؟

الانســـــان . . .

أهو مجهول أم معلوم . . ؟ ان قلت مجهول صدقت . وان قلت معلوم صدقت . . أما صـــاحب ذلك العنــوان « الانسان ذلــك المجهول » فهو الدكتور الكسيس كاريل الذى يعتبر واحـــدا من العقول النادرة المســتنيرة التى ظهرت فى ظــلال الحضـــارة المــادية لتعلن بقوة وصراحة أن الحضارة الى زوال لانها قامت على جهــل بحقيــقة الانســـان ، ويقول اننا بحاجة الى مائه ســمة تســخر فيهـــا عقـــول كبار العلمـــاء المتخصصين كل فى ميـــدانه لدراســـة الانســان ، وبالتالى تبـــديل أسس الحضـــارة المنهارة الى ما يناسب « حقيقة الانسان » .

يقول الدكتور الكسيس كاريل : —

ان الحضـــارة العصرية تجـــد نفسهـــــا فى موقف صعب لأنهـــا لا تلائمنا ، فقد أنشئت من غير أية معرفـــه بطبيعتنا الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشـــهوات النـــاس واهوائـــهم ، ونظرياتهـــم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشـــئت بجهودنا فانهـــا غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا .

أن الحضـــارة آخذة فى الانهيار ، لأن علوم الجماد قادتنا الى بلاد ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعا من غـــير تمييز ولا تبصر « اننا بحاجة الى معهد قادر على المساهمة فى الأبحاث التى تتعلق بالانسان مدة قرن متواصـــل بأقل تقدير » انتهى بنصه ص ٢٧ .

قلت : —

وتلك شهادة رجل منهم ، ولشهادته قيمة عظيمة . اذ أنه ليس فردا عاديا ، ولكنه رجـــل علم بنى آراءه على تجارب وأبحاث ودراسات طويلة شاقة تميز فيها بالصدق والاخلاص والبصر الثاقب فكان لكتابه حين صـــدر أهمية كبرى أثارت الخاص قبل العـــام ، ولقـــد نقـــل أستاذنا الشهيد ســـيد قطب رحمه الله فقرات عديـــدة من كتابه « الانسان ذلك المجهول » وذلـــك فى كتابيه « الاســـلام ومشـــكلات الحضـــارة و « المســـتقبل لهـــذا الـــدين » للاستشهاد بهـــا على عـــدم قابلية الحضارة للبقاء بشكلها الحالى ، ولاثبات أن معرفة الانســـان معرفـــة تامة غير متيسرة للانســـان من حيث ذاته ، وتبعا لذلك فان اعتماد الانســـان على نفسه فى توجيه حياته ، وتنظيم مجتمعاته ، وسن تشريعاته ، لن يؤدى الا الى البؤس والشـــقاء ، والدخول فى متاهات لا مخرج منها الا تســـليم الانســـان لرب الانسان ، والخضوع لمولاه الرحمن ، وصـــدق الله العظيم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

واذا كان الكسيس كاريل قد حدد مائة عام لدراسة الانسان واكتشاف مجاهل نفسه ، والتعرف على أسرار تكوينه ، فمع يقيننا ابتداء باستحالة ذلك ، الا انه بالتسليم بالامكان جدلاً ، فلن تنتج تلك المعرفة بعد طول البحث ، ومشقة الجهد ، وتعاقب أجيال تذوق مرارة التجارب ، وتعانى من تخبط النظريات والاحتمالات لن تنتج تلك المعرفة الا معرفة أن خالق الانسان قد رحم عبده ابتداء ولم يتركه هملا ، بل كما تبدت رحمة الله فى احكام خلق الانسان ، كذلك ظهرت رحمته سبحانه فى احكام وضع الأحكام ، والله أرحم بعباده من الام بولدها كما جاء بذلك الحديث (١) ولكن الانسان ظلوم كفار ونسأل الله العافية .

مفتاح المعرفة :

انت اذا عالجت أيسر الأبواب فتحا بغير مفتاحه استعصى عليك وامتنع ، واذا أتيت أعصاها وعالجته بمفتاحه لان وانفتح ، غير أن ههنا دقيقة .. فلربما وجد المفتاح ولم يفد لعيب فى طريقة الاستعمال، فلزم شرطان اذن لتحقيق المعرفة ..

الأول : معرفة سبيل المعرفة ..
الثانى : سلوك ذلك السبيل بشرائطه ..

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى .

اما المقصود بمعرفة سبيل المعرفة : ادراك أن الاحاطة بمعلوم ما يختلف طريقه عن الاحاطة بمعلوم آخر ، فمعرفة الجسم البشرى طريقة التشريح وعلاج أدوائه طريقة التجريب ، والفلك طريقة التأمل والملاحظة وهكذا .

وأما المقصود بسلوك ذلك السبيل بشرائطه ، فالمعنى انه ليس كل من امسك بالمشرط وأخذ يشرح الابدان يصل الى معرفة حقيقتها ولكن لذلك شروطا ينبغى أن يلتزم بها أولها وجود المعلم ..

معرفة الانسان :

واذا رجعنا الى مانحن بسبيله من معرفة حقيقة الانسان وحاولنا تطبيق الشرطين السابقين على تلك المعرفة لادركنا ان تحقق تلك المعرفة ممتنع كل المنعة على علماء الغرب والشرق ، وأن كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ذلك انهم أخطأوا المفتاح وضلوا عن سبيل الفتح فما نراه اليوم مما يزعمون انه علم النفس التربوى ، او علم النفس المرضى أو علم النفس الجنائى ، فضلالات شهد على اضطرابها اهلها ، وكلما جاء عالم نقض ما قال سابقه ، وكلما دخلت امة لعنت اختها ، ونحن نتهافت على فتات موائدهم كاللئام ، ونلتقف نظرياتهم كالبله ، ونحاكى تجاربهم كالقرود ، ونحن القادة الى الحق . والشهداء على الناس ، والشفاء باذن الله لكل داء ،« **كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون**

بالله (١) » فاللهم آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمـــرنا رشـــدا آمين .

كيف الســـبيل :

اما ســـبيلنا للمعرفة ، فمفتاحه التســـليم ، وطريقه النظر العقلى والملاحظة الحسية .

أما التسليم .. فالايمان بالمنقول من كتاب وسنة .. ســـواء وافق المعقول أو لم يوافق فانه آن وافـــق فبهـــا ونعمت والا فالمتهم العقل وليس النقل ، ان صح النقـــل وثبت .

والمقصـــود بالنظر العقلى قـــواعد الاستنباط التى تضبط طرائق الفهم ، وتحدد مجارى الفكر ، وهى المعبر عنها بعلم اصـــول الفقه .

فان قلت :

لقد ادعيت دعوى عريضـــه ، بقولك ان معرفـــة النفس سبيلها النقل وحده ، والعقـــل من بعد ناظر فى المنقول بقواعد من المعقول أقرها الشرع وتعارف عليهـــا فقهاؤه ، وزعمت أن علوم النفس الحديثة لاتزال طفـــلا

---

(١) آل عمران : ١١٠.

يحبـــوه ، واولى بأن تسمى جهلا من أن تسمى علما ، فما دليلك على تلك الدعاوى ..

قلـــت :

أما دليلى على سـبيل معـرفة النفس الكتـاب والسـنة وحسب ، والنظر العقلى مستضىء بنورهمـا لا يتعدى حدوده ، فينحصر فى أمرين :

الاول : ان النفس ليست من عـالم المـادة حتى تخضع لتجارب المعمـل وادراك الحواس .

الثانى : ان ماكان هذا شانه فسبيل معرفته التلقى ثم النظر من بعد فى ضـوء ما ورد .

واما الدليل على افلاس علوم النفس التجريبيـة فى الوصـول الى المعرفة فشهادة أهلها على ذلك كافية ، وتخبط النظريات واضطراب المعلومات من بعـد مؤكدة .

يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه الانسان ذلك المجهول ... ما الفكر ؟ ذلك الكائن العجيب الذى يعيـش فى أعماق ذاتنا من غير أن يستهلك اى قـدر قابل للقياس من النشـاط الكيميائى ؟ .. ان العقل مخبأ بداخل مـادة حية أهمله الفسيولوجيون والاقتصـاديون اهمالا تاما كما لا يكاد الاطباء يلاحظونه ، ومع ذلك فانه أعظم قـوة فى

هذا العالم ، فهل هو نتاج الخلايا العقلية ؟ أو هل يجب اعتباره كائنا غير مادى ؟ وجد خارج الفراغ والزمن ... ولقــد وقف الفلاسفة العظماء حياتهم فى جميع الأزمــان والبلدان على بحث هــذه المعضلات ، ولكنهم لم يصــلوا الى حلها ، ونحن أيضا لا نستطيع أن نمسك عن القــاء الاســئلة ذاتها ، ولكن .. هذه الاســئلة ســتظل بغير اجابة حتى يمكن اكتشاف وسائل جديدة للتغلغل الى عمق أبعد فى الشعور .

ويبدو أن الافراط فى الطعــام والاغراق فى ممارسة الالعــاب الرياضــية يمنعان تقدم العقــل ، فالرياضيون بصفة عامة ليسوا أذكياء .

أن امتناع نمو وجوه النشــاط العاطفى او الجمالى أو الدينى بخلق أشخاصا فى المرتبة الســفلى ذوى عقول ضــيقة ، وعلى الرغم من أن التعليم العقلى يهيأ فى الوقت الحاضر لكل فرد فاننا مازلنا نشاهد أمثال هؤلاء الاشخاص فى كل مكان .

لقد نجحنا فى منح الصحة العضوية لسكان المــدينة العصرية ولكن .. على الرغم من المبالغ الضــخمة التى ننفقهــا على التعليم فقد فشلنا فى تنمية نشــاطهم الادبى والعقلى نموا تاما .

« ومن العجيب ان الأمراض العقلية اكثر عددا من جميع الأمراض الاخرى مجتمعة » .

لقد فشل الطب العصرى فى محاولته جعل كل فرد حائزا لوجوه النشاط المحدودة للبشر ، والأطباء عاجزون عجزا تاما عن حماية العقل من أعدائه المجهولين .

« قد يكون من الظلم أن نتهم النفسيين العصريين ووسائلهم نظرا للحالة البدائية الحاضرة لعلم النفس ، اذ ان شدة تعقيد هذه المادة هى السبب الرئيسى فى جهلهم » انتهى بتصرف فى اختيار الفقرات .

علم النفس الاسلامى :

والآن ...

الا نزال نؤمن بالنظريات المستوردة ، ونطبقها فى معاهدنا ونخضع لها أنفسنا وأبناءنا ؟ ..

أم نيمم وجوهنا شطر ديننا ، ونستهدى كتابنا حل مشاكلنا .

من قال بالأولى وهو يجهل تراثنا فلعله معذور حتى يعلم ..

أما من قالها وهو يعلم ، مستهينا بما لديه من نعمة الكتاب والحكمة ، مؤثرا ما جاء من عند « الخواجات »

« فرويد ويونج وادفر » وامثالهم فاخشى ان يكون قــد ابتغى غير الاسلام دينا .

ولمن اراد أن يستوثق من احاطة علمائنا باسرار النفس ، ومعرفتهم بتعريف الله لهم بادوائها وشوائبها ووضعهم لمناهج رياضتها وقيادتها ، فليقرأ إن شاء كتاب الاحياء للامام الغزالى رحمه الله ، فانه واجد فيه خيرا كثيرا ان شاء الله ..

والحمد لله اولا وآخرا .

الفصل الثاني

الإنسان - هل هو مخلوق على صورته منذ بداية نشأته؟

الانسان ـــ هل هو مخلوق على صورته منذ بداية نشاته ؟.

الانسان .. هل هو مخلوق على صورته منذ بداية نشأته ؟ أم انه بلغ تلك المرحلة بعد أن تدرج فى سلم الكمال والترقى حتى بلغها باذن الله .. ؟

من الناس من قال بالثانى وبغير اذن الله . وهؤلاء لاشك فى كفرهم ولا خلاف ، حيث نسبوا الخلق والتكوين الى غير الله ..

ومنهم من قال بالتطور باذن الله ، وجعل الامر مرده الى الله اذ لاحول ولا قوة الا بالله . وهؤلاء يختلف الحكم عليهم باختلاف ما ادعوه أوأنكروه ..

ومنهم من قال بأن الانسان خلق على صورته منذ بداية نشأته .. وهذا هو الحق عند أهل الحق وماذا بعد الحق الا الضلال المبين .

الادلـــة ...

اما دليل كفر الطائفة الأولى ، فانه لاخلاف بين المسلمين عامة فى الحكم بالخروج عن الملة على من نسب الخلق والتكوين لغير الله نسبة حقيقية .

أما اختلاف الحكم على الطائفة الثانية فمنشؤه اختلاف الدعوى أو الانكار .

ممن ادعى دعوى تخالف صريح القرآن أو السنة المتواترة ، وكانت دلالة الكتاب أو السنة المتواترة قطعية لا تحتمل التأويل ، فالمدعى خلاف ذلك كافر ، لان دعواه تستلزم التكذيب ، والمكذب بذلك كافر .

ومثال ذلك من ادعى ان آدم عليه الاسلام كان على صورة القرد مثلا وهو نبى الله باتفاق الامة ، فتلك دعوى تخرج صاحبها من الملة ولا كرامة لقائلها ولا اعتبار .

أما دليل القول الحق عند أهل الحق ، فبيانه كما يلى والله المستعان : —

أولا : كل دعوى تفتقر الى دليل يقيمها ، ومجرد خلو الدعوى عن الدليل كاف لاسقاطها وعدم اعتبارها والا فما أيسر أن يدعى كل ضليل عديدا من الضلالات ثم يتحدانا بعدم قدرتنا على ابطال قوله ، وينسى هذا أن عدم الدليل على الوجود هو الدليل على عدم الوجود .

ومثال ذلك :

أن يدعى مدع وجود طائر فى حجم الجمل اسمه « الرخ » ووجود وحش فى حجم ناطحة السحاب اسمه

« الغول » فاذا طالبناه بدليل الوجود سخر وقال : ومادليلكم انتم على عدم الوجود ؟ .

وواضح ان دعاوى كهذه لايخفى بطلانها ، وسفه صاحبها ، دون حاجتنا الى دليل الاسقاط ، فهى لم تتم أصلا حتى تحتاج منا الى اسقاط .

وهذا حال من ادعى تطور الانسان من كائنات ادنى منه رتبة ، فانه لا يخفى على من له اطلاع على دليل القوم أنه واه لا يقوم بل هو الى المغالطة أقرب منه الى الاستدلال .

عقيدتنا مستندها الايمان :

ورب قائل يقول :

دفعك بعدم دليل الوجود يرتد عليك فقولك : خلق الانسان على صورته منذ بداية نشأته ، هذه دعوى ، وكل دعوى تحتاج الى دليل كما تقول ، فأين الدليل ان كنت من الصادقين ؟ .

قلت :

دليلى على ذلك النقل ، وعماده الايمان المنقول فأنا اخاطب ابتداء من أسلم وجهه لله وهو محسن ، ولا كلام لى

مع غيره ، فلبست قضية أصل الانسان اخطر من قضية الايمان ، ومن لم يسلم بالأخيرة فلا يرجى منه الا كل ضلالة وكبيرة .

فان قلت :

وما تفصيل دليل النقل ؟

أقول :

أولا : دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة دلالة صريحة صحيحة لا تقبل التأول على أن آدم عليه السلام كان اول مخلوق من الانسان وأن الله خصه بالنبوة ، وأسجد له ملائكته ، واسكنه جنته ، وخلق منه زوجه ليسكن اليها ، ولتكون منهما الذرية من بعد الى يوم القيامة باذن الله .

وهذه كلها امور قطعية ، ومسلمات يقينية ، لايشك فيها مسلم ، فمن شك فيها فكلامنا معه فى أصل الايمان لا فى اصل الانسان .

فاذا كان ذلك كذلك ، فمن ذا يستطيع أن يزعم أن الله خلق قردا نبيا ، ثم يزعم انه مسلم ؟ .

ثانيا :

من قال — تخلصا من معارضة النصوص — نسلم بكون آدم على صورة البشر وأنه نبى من الانبياء ، ولا نشك

فى ذلك ، ولكن لا نسلم بكونه خلق من الطين ابتداء وانما انحدر من سلالة من المخلوقات وتنقل خلالها من طور الى طور حتى بلغ مرحلة الكمال ، وكان آدم أول ابناء تلك المرحلة ، ومنه انحدرت الذرية الى يومنا هذا ، وهؤلاء يؤولون القرآن برأيهم ، ويطوعونه لاهوائهم فيقولون : وخلقناكم اطوارا ..

وبطلان ذلك واضح كبطلان القول الأول .

(أ) لعدم الدليل أولا .

(ب) ولمعارضته لصريح النصوص ثانيا .

(جـ) ولانه يلزم عليه كون والدى آدم من الحيوانات او القردة ثالثا .

وواضح سقوط ذلك ..

اذ كيف يتربى نبى من الأنبياء فى حجر القردة واشباهها وهو ممن اختص الله برحمته فاسكنه جنته وعلمه الاسماء كلها .

ثم ان خلق آدم عليه السلام بصورته على التدرج ممن قبله فلا فرق يكاد يبين بينه وبين ابويه فمن هما وأين .. ؟

وان كان خلق على صورته طفرة فكيف خلقت زوجه .. ؟

وما وجـــه تخصيص مخلوق واحـــد ينتج عنه مثل آدم وحواء .. ؟

ولمـــاذا لم تتعدد تلك الولادات وتتكرر من كثير من المخلوقات ؟ .

أم انها حـــدثت مرة واحدة لتوافق أهواء قـــوم قد ضلوا كثيرا واضلوا عن سواء السبيل ؟ .

قالوا : بل ان الله على كل شيء قدير ..

قلنـــــا :

آمنا ، ولذلك سلمنا بانه خلق آدم ابتداء على هيئته من الطين ، وصـــدق الله العظيم .

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .(١)

القـــائلون بالتطـــور :

القائلون بتطور الانســـان عن حيوانات راقية أو غير راقية انما يريدون فى الحقيقة مســـخ هذا الانسان الـــذى كرمه الله بالخلافة عنه فى تنفيذ احـــكامه واســـجد لـــه ملائكته ، وحمله الامانة بعـــد أن عرضها على السموات

---

(١) آل عمران : ٥٩

والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملهـــا الانسان .

هذا الكائن المكرم الذى خصه الله بقوله « **ونفخت فيه من روحى (١)** » تلك النفخة العلوية التى أهلته لحمل الأمانة وأداء الرســـالة ، فكان منه النبيون والصـديقون والشهداء والصالحون ، يريدون مسخه وتشويه خلقته ، قردا تارة ، وخنزيراً تارة أخرى ، أوما يحلو لهم من أصناف البهائم التى لعل من خصائصهاما يوافق طبائعهم مــرات اخرى ، وصــدق الله العظيم « **أولئك كالانعام بــل هم اضــل** »

والكثير من هؤلاء انما ينادون بتلك الضلالة عن عمد ومعرفة بنتائجها السيئة ، وآثارها القاتلة ، وعن قصــد مبيت لوأد انســانية الانسان ، وهــدم معتقداته الدينية التى تجعل منه مخلوقا متميزا فى هــذا الكون ، ليســهل عليهم بعد ذلك اصطياده واستنزاله من عليائه لينحط الى رتبة اجداده المزعومين .

حكم القائلين بالتطور :

فان قــلت :

يعرف حكم القائلين بالتطور من غير المسلمين « ومن **يبتغ غير الاســلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من**

---

(١) الحجر : ٢٩.

الخاسرين » فهم خاسرون اصلا سواء قالوا بالتطور أولم يقولوا ..

ولكن نريد أن نعرف حكم من اغتر بدليلهم ، واعتقد استنادهم فى زعمهم الى ركن شديد من البحث والتنقيب ، حتى اجتمعت لديهم براهين يقينية تؤيد رأيهم ، وتثبت زعمهم ، فما حكم هذا الذى تبعهم فى معتقدهم وهو مسلم ؟ ..

قلت :

أما من كانت عقيدته تستلزم التكذيب بالنصوص المتواترة ، أو رد دلالتها القطعية ، حكمنا بكفره بعد اقامة الحجة عليه بلا خلاف .

ومثال هذا من أنكر كون آدم نبيا ، أو ادعى انه من رتبه دون رتبة البشر ، فان هذا المعتقد يخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ويلزم عليه التكذيب بالنصوص المتواترة والدلالات الشرعية القطعية .

اما من سلم ببشرية آدم ونبوته ، وزعم أن التطور لم يبدأ من عنده وانما هو سابق عليه ، وتمسك بشبهة دليل يظن صحته ، وهو مع ذلك مؤمن بأن الله خالق كل شىء ، فهذا لا يعد مكذبا ، ولكنه متأول مخطىء يرجى صلاحه ، ومثله يرمى بالبدعة ولا يرمى بالكفر .

وقد وقع فى مثل ذلك كثير من النـــاس ممن يعدون من المسلمين ، وتأثروا بثقافة الغرب وافتتنوا بحضارته ، ولعلهم يؤمنون بالتطور ويجادلون عنه اشـــد من ايمــان دارون نفسه ، فانه لم يزعم ولا احـــد من تلاميذته أنـــه أتى بالحق الجازم ، والعلم اليقين ، ولكنها لاتعدو أن تكون نظرية مستندها التشابه بين المخلوقات عامة ، حتى كأن الاحياء ســـلم تقترب كل حـــلقة من ســـابقتها ولاحقتـــها ولاشىء بعد ذلك الا الربط والاستنتاج ، فهل يكفى هـــذا لاطمئنـــان القلب الى رأى مبتدع ، أم انه الهوى واتبـــاع الظـــن ؟ .

وبعـــــد :

فان مايميز الانسان عن الحيوان ليس هو تـــكوينه العضوى وحسب ، ولكنها « الروح » التى هى حقيقة هذا الكائن المتفرد بخصائصه وصفاته .

وسابين ذلك ان شاء الله فى الفصـــل القـــادم والله المســـتعان .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الفصل الثالث

فإذا سويته ونفخت فيه من روحي

فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ..

الانسان .. هل هو روح ؟ أم جسد .. ؟

أم هو مركب من الروح والجسد ؟ ..

هناك من قال بأنه روح مجرد .. وهنــاك من قــال بأنه جسد محدد ..

وقال آخرون :

بل هو مركب من الروح والجسد .. وهـذه الاقوال ليست وقفا على طوائف المسلمين ، بل هى لغيرهم مـن الفلاسفة والأطباء وعلماء الاحياء ايضا ..

ولكن تميز المسلمون عند تفصيل ذلك المعتقد ، وظهر شــطط من لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق .. وبيان ذلك ..

أن من قال بأن الانسان جسد مجدد من غير المسلمين عنى بذلك أنه مادة مجردة وليس فيه اكثر مما نراه فيــه شيء أصلا ، والروح عندهم خرافة لانهــا غيب ، ولاننــا لا نراها ، وهؤلاء لا يسلمون الا بما هو تحت حيطتهم ، وفى حدود مداركهم ، وفى متناول اجهزتهم ، أما ما وراء ذلــك فــلا عندهم .

ومن هؤلاء الملاحـــدة « فرويـــد » و « ماركس » واتباعهما .. فانظر حين يتخذ هؤلاء وأمثالهم أئمة يهدون ، وعلماء يتبعون ، اتراهم الى الجنة يقودون ، أم الى النار يسحبون ويجرجرون ؟

الجواب واضح حاضر ماثل فى تعاســـة البشريـــة اليوم ، ومى ترديهـــا فى مهـــاوى الرذيلـــة وتخبطهـــا فى ضلالات الجاهلية ، وان غزوا الفضـــاء ، وان ركبـــوا القمر ، فذلك مما يؤكد وجود السر الالهى فى الانسان ، ويدحض دعاوى حيوانيته ، وانما هى فتنة غشوم ، نسأل الله ألا تدوم ، وصدق الله العظيم « **لكل نبـــأ مســـتقر وسوف تعلمون** » .

نفاة الروح من المسلمين :

اما نفاة الروح من المسلمين والقائلين بأن الانسان جسد لا روح فيه ، فانما عنوا بذلك أن الانســـان انسان كامل بجسده اما قوله تعالى : « **ونفخت فيه من روحى** » فليست هى شيئا زائدا على الجسد وانما هى سر حيـــاة هذا الجســـد ، وهـــذا الكائن الحى هو الانسان بحقيقته، وليس للروح التى هى حقيقة الانسان والتى لهـــا وجـــود حقيقى وكينونة قائمة ، يقولون ان الروح بهـــذا المعـــنى ليس لها وجود ، وانما الوجود للجســـد وحـــده ولسر الحياة فيه كأى حيوان حى ، ولا فرق عندهم بين الانسان

واى حيوان فى هذه الحقيقة ، وانما يظهر الفرق كما يقولون حين يؤمن الانسان بربه وينظم حياته بناء على تلك المعرفة ببارئه ، فايمانه هو — الروح — عندهم وسلوكه وفق ذلك هو « الروحانية » .

وقد الجاهم الى ذلك المعتقد ظنهم انه لايوجد فى الدين مالا يمكن تفسيره عقليا ، ووجود غير المعقول من غير المعقول ، فهم يخضعون كل شىء للعقل ويفسرونه بما هو معقول عندهم ، وما ذكروه قالوا انه لايجوز فى العقل غيره ..

قلت : —

وذلك باطل كله ، وحجة القائلين به داحضه ... وبيان ذلك ..

اولا : قولهم لا يوجد مالا يمكن تفسيره عقلا ، يبطله اعترافهم بالعجز عن فهم — الروح — التى هى سر الحياة ، وقالوا فى جواب ذلك **« قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (١) .**

ثانيا : قولهم من غير المعقول وجود غير المعقول يدحضه وجود غير المعقول فعلا ، فليس كل ما هو موجود معلوم ، كما أنه ليس كل ما هو غير معقول

---

(١) الاسراء : ٨٥

معدوم ، فلم يكن العقل وحده يوما حكما عدلا ، ولاكان الغيب **والمجهول باطلين حتما** ، وانما القول فى ذلك للشرع الحنيف ، **والحكم للنقل الصحيح** ، ثم تتفاوت العقول فى الفهم بعد ذلك على اقدارها وتوهب من العلم والادراك ، بمقدار ما يمن عليها باريها ، والله يختص برحمته من يشاء ، واتقوا الله ويعلمكم الله .

ثالثا : قولهم ان الايمان هو — الروح — والسلوك بمقتضاه هو — الروحانية —

قلت :

لا ينكر تسمية الايمان بالروح وسلوك سبيله بالروحانية ، اذ الايمان يحيى صاحبه ويحس العامل بمقتضاه بروحيانية وانشراح صدر وغير المسلم ميت حكما ، والحى هو المؤمن وحده وصدق الله العظيم **« افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس »** .

فسمى سبحانه المؤمن قبل ايمانه — ميتا — ثم احياه بفضله بنور الايمان به وجعله يمشى به فى الناس ليكون آية على رحمته وفضله سبحانه ، وصدق الله العظيم **« يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا اليما »** (١) .

---

(١) الانسان ٣١

فهذا حق من حيث الاطلاق — يعنى اطلاق لفظ الروح على معرفة الانسان لربه — أما ان هذا هو المراد بالروح التى هى حقيقة الانسان وانه لا وجود للروح التى هى مغايرة لسر الحياة والتى هى حقيقة موجودة ولها كيان قائم بذاته ، هذا القول باطل ، والادلة على خلافه قائمة .. وتفصيل ذلك .. من عدة وجوه ..

الوجه الأول :

قوله تعالى ((**فاذا سويته ونفخت** فيه **من روحى فقعوا له ساجدين**)) (١) .

ووجه الدلالة فى الاية قوله تعالى « **فقعوا له ساجدين** بعد قوله سبحانه : « **ونفخت فيه من روحى** » تعلق الامر بالسجود لادم على نفخ الروح فيه بعد التسوية ،وواضح أن أمر الملائكة بالسجود من باب التكريم ، ولا يكون ذلك الالمكرم يستحق ذلك المقام ، فلو لم يكن فى النفخة سر يغاير سر الحياة التى تشترك فيها كافة الحيوانات لما كان لادم فضل على غيره من المخلوقات الحيوانية ، وبالتالى لم يكن هناك مسوغ للامر بالسجود .

فان قيل : انما المسوغ هو استعداد آدم لمعرفة الله.

اقول : انما استعد آدم عليه السلام لمعرفة الله

---

(١) الحجر : ٢٩

بالنفخة — التى هى الروح — لا بالجسد ، فهو بجسده لا يفترق عن الحيوانات الا بالشكل ، فحاجاته كلها يشارك فيها البهائم وغيرها مما له روح يحيا بها ، وانما تميزه عنها وارتفاعه فوقها . وسموه عليها . لسر نفسه الروح التى هى حقيقته والتى نسبها سبحانه الى نفسه بقوله « من روحى » فاستحق بذلك سجود الملائكة . واستعد لحمل الامانة واداء الرسالة ونال مقام الخلافة عن رب العالمين فى تنفيذ احكامه سبحانه ، وحسبه بذلك شرفا .

الوجه الثانى :

ماجاء فى الحديث الصحيح الذى اتفق عليه البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يجمع احدكم فى بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » .

وجه الدلالة فى الحديث :

قوله صلى الله عليه وسلم : « **ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح** » فأفاد كون النفخ بعد تمام مائة وعشرين يوما من بدء الحمل ، ومعلوم بالقطع أن الجنين حى فى بطن امه قبل ذلك ، فانه يتغذى وينمو ، وليس ذلك الا للاحياء، بل اقول اكثر من ذلك فان الحيوان المنوى حى حتى قبل أن يلقح البويضة ويبدأ الجنين فى الوجود ، فانه يتحرك

ويسعى باذن الله للالتقاء بالبويضة ، فاذا تم ذلك ، تبدأ المرحلة الاولى التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « يجمع احدكم فى بطن أمه أربعين يوما نطفة »

فاذا ثبت أن الجنين حى قبل نفخ الروح فيه على رأس مائة وعشرين يوما من بدء الحمل ، علم بالقطع أن الروح التى أمر الملك بنفخها فى الجنين ليست هى الروح التى يحيا بها الجنين قبل ذلك وبالتالى ليست هى الروح التى يحيا بها الانسان والحيوان والتى هى سر الحياة .

يتعين اذن أن تكون تلك الروح المنفوخة فى الجنين فى نهاية الشهر الرابع هى الروح التى هى حقيقة الأنسان ولها وجود فعلى ، وكينونة واقعة .

ويدل لذلك اجماع الفقهاء على حرمة اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، واعتبارهم ذلك جناية فاحشة . بينما اختلفوا فى الاسقاط قبل ذلك وجعلوا الحرمة أقل قدرا قبل النفخ منها بعده .

وقالوا ان الجنين اذا سقط أو أسقط بعد الشهور الاولى الاربعة يبعث يوم القيامة فانه انسان حقيقة وقد اكتملت فيه الانسانية بنفخ الروح فيه والتى هى حقيقته ، بينما لو سقط قبل ذلك أو أسقط فلا يبعث يوم القيامة اذ لم تتحقق فيه حقيقة الانسان .

ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى آخرالحديث السابق « ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع . رزقه ، وأجله ، وعمله وشقى أوسعيد » فهذا التقدير من الله سبحانه يثبت تحقق الانسانية فى الجنين .. وعده فرداً ممن يبعثون . وهذا لا يكون الا بعد تمام الشهور الاربعة ونفخ الروح فيه بينما هو قبل ذلك حى نام فيه روح . ولكنها ليست الروح المرادة بقوله تعالى — ونفخت فيه من روحى — وانما هى الروح الحيوانية التى يشارك الانسان فيها الحيوان . فثبت بهذا أن الروح التى يحيا بها الانسان ليست هى الروح التى هى حقيقة الانسان والتى تميز بها عن سائر الحيوان ؛ وبذلك ينتقض القول بعدم الروح الثانية وقصر معناها على معرفة الانسان ربه ، واثبات الروح الحيوانية وحسب . جعلها المرادة من قوله تعالى « **قل الروح من أمر ربى** »(١)

الوجــه الثــالث :

ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد فى ليلة عروجه الى السماء انبياء الله عليهم السلام ، ومعلوم انه لم يشاهد أجسامهم ، فانها فى مكانها من الارض حيث دفنت وانما الحى المشاهد هو الروح ، ومعلوم أن هــذه الروح المرئية ليست هى الروح بمعنى

---

(١) الاسراء : ٨٥

سر الحياة ، فانها قدر مشـــترك بيننا وبـــين الحيـــوان . فتعين أن تكون روحا اخرى هى حقيقة كل انسان وذاته .

الـــوجه الرابـــع

جاء فى عـــديد من النصـــوص الصحيحة الصريحـــة ما يدل على بقاء الروح بعـــد مفارقتها الجسد . واحتفاظها بذكرياتها ؛ بـــل تزداد معرفتها عمقا واتساعا ، وتقـــاسى من العذاب أو تنـــال من النعيم بحسب ما قدمت فى الدنيا من خـــير أو شر .

قال تعالى : « **فكشفنا عنك غطاءك ـــ أى بالموت ـــ فبصرك اليـــوم حـــديد** » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الناس نيام فاذا ماتـــوا انتبهـــوا** » .

وقال : « **القبـــر اما روضـــة من رياض الجنـــة أو حفرة من حفـــر النـــار** » .

والمقصود بالقبر هنـــا حياة البرزخ أى الحياة بعد الموت وقبـــل البعث ، والا للزم من ذلك أن يكون الشهداء الذين يقتلون فى المعـــركة ولا يدفنون فتأكل الطير والسباع اجسادهم يلزم انهم لا ينعمون ، وقتلى المشركين لا يعذبون وهذا باطل بصريح ما دل عليه الشرع وصحيحه ؛ فتعـــين أن يكون كل ميت أما معذب أو منعم بينما هو قـــد فـــارق الجسد الذى تقولون انه الانسان على الحقيقة .

واذا كان ذلك كذلك تعين القول بكائن مستقل له وجود حقيقى ، وهو متعلق بهذا الجسد نوعا من التعلق يعلمه الله ولا نعلمه ، لانه خالقه سبحانه ، خلق الروح والجسد ، وجعل بينهما ما أراد من الاتصال فتبارك الله احسن الخالقين .

الوجــه الخــامس

من المعلوم بداهــة عنــد الاطباء وغيرهم انه يلــزم لزرع جــزء من جسم اى انسان فى انسان آخر ان يكون ذلك الجزء المراد زرعه حيا ، ولا يمكن زرعه بعــد تليف خلاياه وموتها ، وبالامكان اطالة امــد حياة ذلك الجــزء بوضعه فى بيئة خاصة الى حين زرعه ، فلو كانت حقيــقة الانســان هى تلك الروح التى يحيا بها كل حيوان للزم من ذلك اننا نقتطع جــزءا من شخصية الانسان المــأخوذ منه الجزء لاننا اخذنا قطعة من بدنه الحى ، وهو عندكم انسان كامل ببدنه وسر الحيــاة فيه ، وتبعا لذلك يلزم أيضــا أن يكون جزء من روح المقطوع منــه قد اتحد بروح من زرع فيــه الجزء المستأصل ، ويكون قدر هــذا الجزء من الروح وأثره بحسب قدر الجــزء المقطوع وخطورته فالعين ليست كالقلب ولا هما كالكبد مثلا وهكذا تختلف النتائج باختلاف المقدمات ، وكل هــذا — من القــطع والوصــل — واقع ومشاهد ، ولكن نقصان انسانية المقطوع ، واضافة ذلك النقصان الى الموصول غير واقع ولا مشاهد ، فبطل بذلك القول بأن الانسان كامل بجسده الحى وحسب ، وظــهر

فساد الاعتقاد بانتقاء الروح التى هى النفخة الربانية ، والحقيقة الانسانية .

وبهذا يتبين الفرق بين الروح التى يحيا بها الحى — اى حى كان — وبين الروح التى هى الانسان على الحقيقة أو قل هى حقيقة الانسان .

« القائلون بالروح المجرد »

والقائلون بأن الانسان روح مجرد طائفتان كذلك .

الاولى : — طائفة زعموا أن الانسان روح مجرد والجسد ليس الا ثوبا يلبسه الروح زمنا ثم يخلعه ، وليس لهذا البدن ادنى اثر فى كمال انسانية الانسان ، بل هو معطل للروح عن بلوغ كمالها الذى فى مكمنها ، لذلك فهم يعذبون الجسد ، ويقتلون رغباته ، ويمارسون أنواع الرياضيات، والمجاهدات الروحية الشاقة ، حتى يعود الجسد شبحا او كالشبح ، ثم اذا مات أحدهم أحرقوا جسده وذروه مع الريح ، لانه عندهم لاشىء ، والروح هى كل شىء .

واولئك هم الهندوس ومن وافقهم من أهل هذا الاتجاه غير الصحيح .

اما الطائفة الثانية

فمن المسلمين ، وهم مع قولهم بأن الانسان روح لا جسد ، ما أرادوا بذلك ما أراده كفرة الهندوس بقولهم : ولكنهم نظروا .. فوجدوا الانسان بروحه على الحقيقة ، وهى الباقية حين تفنى الخليقة ، وهى المعذبة ، وهى المنعمة ، وهى العاملة المدركة ، وهى الباقية بكمال ادراكاتها حين تفارق الجسد ، بينما الجسد يدركه التحلل والفناء حين يخلو من الروح ، ولو قطعته بعد موته وفعلت به الافاعيل ما احس ولا ادرك هذا الذى يفعل به .

ومن هنا قالوا : الانسان هو الروح على الحقيقة . ولكنهم مع قولهم هذا ما الغوا اعتبار الجسد ، ولا انكروا اثره واهميته ، ولازعموا انه معطل للروح عن كمالها .وانما قالـوا :

هو وسيلة الروح لبلوغ كمالها ، ومطيتها للوصول الى غايتها ، واداتها لتحقيق ذاتها ، وهو معطل بقدر ما تكون رغباته ونزواته هى المتحكمة ، ومساعد بقدر ما تكون أشواق الروح هى المحكمة ، وكمال العدل عندهم تحقيق التوازن بين أشواق الروح ورغبات الجسد ، ولكنهم يقولون ان هذا ليس بممكن ابتداء ، فان الجسد غلاب ، والجنة حفت بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، فلابد من أنواع من المجاهدات والرياضات الروحية لتمكين الروح

من السيطرة على الجسد ، حتى تكون رغباته داعية أمرها وتكون هي القائدة المنجبة وليست المقودة الهالكة ، ثم أسرف بعضهم في تلك الرياضات وتعدى حد الشرع ، والتزم آخرون بمنهاج الشرع الحنيف ، وتمسكوا بما صح في الكتاب والسنة من أنواع المجاهدات والرياضات ، ففازوا مع من فازوا ، ولفضل السبق حازوا ، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل بمنه وكـــرمه آمـــين .

القائـــلون بالتركيب

والقائلون بالتركيب قالوا بأن الانسان انسان بروحه وجسده على السواء ، فهو كامل بمجموع الروح والجسد لا بواحد منهما ، وقالوا : ولذلك جاء الشرع بأحكام الظاهر والباطن ، وصلاح الدين والدنيا ، وأمر بالعدل بين الروح والجسد ، ونهى عن الترهب والرهبانية ، وكل ذلك يدل على أن الانسان على الحقيقة بمجموع الروح والجســـد لا بأحـــدهما .

وحاصل ما تقدم أوجزه فيما يلي : —

أولا : الناس في حقيقة الانسان على ثلاثة أقـــوال تتفرع عنـــد التفصيل الى خمسة .

ثانيا : غير المسلمين افترقوا الى فرقتين متنـــافرتين لا يمكن التقـــاء بينهما ..

فبينما زعمت اولاهما أن الانسان مادة وليس شيئا غير المادة ..

قالت الاخرى : بل هو روح ولاشىء غير الروح .

واصحاب القول الاول هم الماديون من الفلاسفة والعلماء الطبيعيين الذين ينكرون كل ما هو غيبى من الحقائق ، ويكفرون بمالم يحيطوا بعلمه ..

واصحاب القول الثانى : هم عباد الهنود ممن لا يدينون دين الحق ومن وافقهم فى ارائهم ..

ثالثا : افترق المسلمون على ثلاث فرق ، ولا أجد بين اثنتين منهما كبير فرق ، والزيغ الواضح فى قول الثالثة ...

فمن قال بأن الانسان روح لا جسد من المسلمين أراه قريبا ممن قال بمجموع الروح والجسد اذا نظرنا فى حقيقة قصديهما وما أرادا ..

اما من قال بانتفاء الروح الانسانية يعنى « الذات » أو « النفس » والتى هى حقيقة الانسان التى يفترق بها عن الحيوان ، وأثبتوا الروح التى هى سر الحياة وحسب . والتى هى قدر مشترك بين الانسان والحيوان ، فهؤلاء لا اجد لقولهم دليلا قائما ، ولا قرأت أو سمعت لأى من علمائنا القدامى ما يحاكى قولهم ، أو يؤيد عقيدتهم وقد تقدم

ابطال ذلك فى صدر هذه المقالة ، بما ارى انه كاف فى اقامة الحجة ، وبيـــان الحجة ، والله الهادى الى سواء السبيل .

وجـــه التوفيـــق

لعله وضح مما تقدم بطلان اقوال ثلاثة من الخمسة المتقدمة ، وصحة القولين الباقيين ، فالانسان بروحه على الحقيقة لا بجسده ، وان قلت هو مركب من الروح والجسد صدقت كذلك ، فلا تعارض بين القولين ولا تناقض ، فان من قال بأن الانسان روح على الحقيقة ما الغى اعتبـــار الجسد ، ومن قال بانه مركب من كليهما لم يزعم انه نصفان، نصف جسد ، ونصف روح ، والا للزوم من ذلك نقصـــان انسانية الانسان بالموت الى النصف ، وبالتالى فلا تكـــون حياته فى البرزخ حياة حقيقية ، ابتداء من الانبياء الى مـــن دونهم من الصديقين والشهداء ، وهم بالقـــطع لم يقولـــوا بذلك ، فان المكذب لحياة الانبياء والشهداء منكر لصريـــح القرآن ،ولا يتصور هذامن مسلم ، كيف والقائلون بالتركيب من الائمة الاعلام المشهود لهم بالخير والحمد لله ؟ .

اذن ... فهذا مما يقتضينا القول بأن مراد القائلـــين بالتركيب ، ليس نفى كمال الروح فى ذاتـــــها ، ولا نـــفى اشتمالها على حقيقة الانسان فى نفسها ، ولا كان مرادهم أن الانسان يفقد بالموت جزءا من حقيقته ، أو بسلب نصيبا من انسانيته ...

وانما مرادهم أن الانسان هو الروح على الحقيقة وحين اقتضت مشيئة الله أن يجعل الانسان في الارض خليفة ، ليبتلى فيها ويمحص ، ويمتاز المؤمن فيها عن الكافر كان لابد أن يتلبس الروح بالجسد ، وتتمكن الحقيقة الانسانية في عالم البدنية ، لتبتلى الروح من خلال الجسد ، وتبلغ سعادتها أو شقوتها زمن تعلقها به ، وكان ذلك من مقتضى سنة الله تعالى ، فان الروح ليست من عالم المادة ، ولا تحكمها الضرورات ، ولا تقيدها الحاجات ، فكان حبسها في هذا العالم المادى لتسعى فيه الى الله سعيها ، وتعمل على بلوغ كمالها الذى كتب الله لها ، كان هذا الحبس ضروريا ، ومؤقتا ، فاذا انقضى الامر ، وبلغ الكتاب أجله ، انطلقت الروح من اسارها ، بما كسبت من خير أو شر ، وعاشت في البرزخ منعمة أو معذبة بقدر ما عملت، ولايظلم ربك أحدا، وعلى ذلك دلت الايات والاحاديث الصحيحة الصريحة ، وحسبك منها قوله تعالى : « **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا** (١) » ..وقوله تعالى «**ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** (٢)» وقوله سبحانه « **ياايتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى في عبادى وادخلى جنتى** (٣) » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن

(١) الملك : ٢

(٢) الانشقاق : ٦

(٣) الفجر : ٢٧ وما بعدها .

المؤمن وجنة الكافر (٤) » وحين القى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى المشركين فى القليب عقب بدر ناداهـــم باسمائهم وقال لهم « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ انى وجدت ما وعدنى ربى حقا» فقال له أصحابه : كيف يسمعون وانى يجيبون ؟ وقد جيفوا فقال : « والذى نفسى بيده ما أنتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا (٥) انهم لاسمع لى منكم فاثبت لهم السمع ولا اذن ذات صماخ تسمع فتبين بذلك بقاء الانسان على حقيقته وكمال انسانيته بعد مفارقته هذا الجسد ، الذى جعله الله له مركبا للوصول اليه ، ومعبرا يعبر عليه ، وسجنا يحتبس فيه زمنا يعمل فيه وبه له او عليه « **فلله الحجة البالغة** » وله المثل الاعلى . **« لا يسال عما يفعل وهم يسالون »** ..

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » .

---

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم .

الفصل الرابع

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

وما أوتيتم من العلم الا قليلا

— رأى الامامين الدهلوى والغزالى فى حقيقة الروح

— ماهو رأى جمهور المتكلمين بمسألة الروح .. ؟

ما حقيقة الروح ؟ .. وما وجه تعلقها بالجسد .. ؟

وهل هى مخلوقة قبله ثم اهبطت اليه عند تسويته ؟

أم خلقت من بعده حين ســواه تعالى ونفخ فيه من روحـــه .. ؟

وهل فى طاقة بعض النـــاس ادراك سرها وكنــه حقيقتـــها ؟ ....

أم يمنع من ذلك قوله تعالى : « **قل الروح من أمـر ربى** » وما حقيقة الموت ؟ ..

هل هو انفصال الروح عن الجسد ؟ .. أم هو انعدام قابلية الجسد لسكنى الروح واستقبالها .. ؟

تساؤلات عديدة ، واشكالات شديدة ، حارت فى حلها العقـــول ، وجاوزت فى الاجابة عنها المعقول والمنقـــول ، حين طلبت المعرفة من ذواتها ، واستعملت لها غير اداتها .

أما اهل الحق ، فتأدبوا بأدب الشرع ، وسكتوا عما اوجب السكوت عنه ، ونطقوا فيما اجاز التكلم فيه .

وسأذكر ان شاء الله اقوال علمائنا فى « الروح » وفى امكان معرفتها أو امتناع ذلك ، نقلا عن كتاب « اليواقيت والجواهر » للامام عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ، فاقول والله المستعان :

قال الامام الشعرانى فى المبحث الثالث والستين من « اليــواقيت » :

« ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم عــلى حقيقتها مع انه سئل عنها ، فنمسك عنها ادبا ، ولا يعبر عنها باكثر من موجود كما قاله ابو القاسم الجنيد وغــيره ، وعبارة الجنيد رحمه الله « الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ، ولم يطلع عليه احداً من خلقه ، فلا يجــوز لاحــد البحث عنه باكثر من أنه موجود » واليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبى وابن عطية ، وقال جمهور المتكلمين :

« انه جسم لطيف، مشتبك بالبــدن اشــتباك المــاء بالعود الاخضر « وقال كثير منهم انها « عرض » وهــى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا ، واليه قال القاضى ابو بكر الباقلانى ويدل للاول وصفها فى الاخبار بالهــبوط والعروج والتردد فى البرزخ قاله السهرودى ، وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الأوصاف ، وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز ، وله تعلق خاص بالبدن

التدبير والتحريك ، غير داخل فى البدن ولا خارج عنه ، وهذا رأى الفلاسفة ، وهو كلام ساقط والذى ظهر لى أن العبد بتقديراته يطلع على كفه الروح لا يستطيع أن يعبر عنـــها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها ، لان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنـــا ليقول أحدنا لنفسه . اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعـــالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر فى الذات « انتـــهى بنصـــه . ج ٢ ص ١٣٧ » .

الدهلـــوى والغزالى

أما الامام الدهلوى رحمه الله ، فيقرر فى « حجـــة الله البالغة » أن قوله تعالى « قل الروح من أمـــر ربى » لا يمنع من امكان معرفة الروح وادراك حقيقتها ؛ لذلك فهو يتكلم عن شيء من ذلك يسير ، وهو مع ايجازه فيه ارضـــاء لتطلعات ذى اللب البصير ، فمن شاء فليرجع اليه فى باب « حقيقة الروح » من الكتاب المذكور .

أما عبارته التى تدل على ما ذكرت من امكان معـــرفة حقيقة الروح ، فهذا نصها : —

« ليست الاية نصا فى أنه لا يعلم احـــد من الامـــة المرحومة حقيقة الروح كما يظن ، وليس كل ما سكت عنه الشرع لا يمكن معرفته البتة ، بل كثيرا ما يسكت عنه لاجل أنه معرفة دقيقة لا يصلح لتعاطيها جمهور الامة وان أمكن لبعضهم « انتهى بنصه من » حجة الله البالغة ص ٣٨ » .

أما الامام الغزالى رحمه الله، فيقرر فى كتاب « أسرار القلب » من الجزء الثالث من الاحياء امكان معرفة حقيقة الروح للخاصة من علماء الآخرة ، الراسخين فى العلم منهم ويحرم على نفسه وعلى من له المام بشيء من ذلك التصريح به لغير أهله ، اما طريق معرفة تلك الاسرار عنده فهو العزوف عن الدنيا واشغالها ، والاقبال على الله والاجتهاد فى طاعته والتقرب اليه ، وتطهير القلب عن كل ما سواه ، فاذا تم ذلك للعبد بتوفيق الله له ، استعد قلبه لتلقى الواردات الالهية التى لا يعبر عنها بكلمات ، ولا تسعها العبارات ، وادرك بالبصيرة ما يعجز عن رؤيته البصر ، وكشف حقائق حار فى سرها فحول العلماء ، وعجز عن معرفة مبادىء كنهها اساطين الحكماء ، منها سر الروح وسر القدر ، وامورا اخرى كلت عنها عقول البشر ، والله يختص برحمته من يشاء ، ويجتبى اليه من يريد ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

حقيقة الروح

وبالنظر فيما تقدم من أقوال العلماء ، نرى أن فريقا منهم حكم باستحالة معرفة الروح ، ورأى آخرون أن ذلك بالامكان ، فمنهم من خاض فيها بعقله كالمتكلمين فأخطأ ، ومنهم من طلب معرفتها بطريق الكشف بعد تصفية القلب وتنقيته ، واعداده لتلقى العلم اللدنى كما قال تعالى : —

« وعلمناه من لدنا علما (١) » وقال سبحانه : « واتقوا الله ويعلمكم الله (٢)» .

ومن هؤلاء الدهلوى والغزالى وكثير من الصوفية ، أما الامام الدهلوى رحمه الله فأشار الى بعض أسرارها فى كتابه « حجة الله البالغة » . وأما الامام الغزالى رحمه الله فأمسك عن الكلام ، وسمى تلك العلوم « المضنون به على غير أهله » وصرح أن له كتبا خاصة أودع فيها تلك العلوم والاسرار ووقفها على خاصة الخاصة ، وحرم على من وقع شىء من كتبه تلك تحت يده أن يطلعها على من ليس أهلا للاطلاع عليها . وقد تعذر العثور على تلك الكتب المذكورة وما يوجد الان مما يوهم انه منها فليس بمنها على اليقين ، وفى صحة نسبتها اليه مقال « كالمضنون الصغير والمضنون الكبير ومعارج القدس » والله أعلم بالحقيقة .

فاذا تبين هذا فلا ينتظر من مثلى أن يجرؤ فيخوض لجنة هذه البحار ، أو يكشف عن حقائق تلك الاسرار . فذلك مطلب بعيد ، وحظى منه عن دون قطرة لا يزيد ، وانما غايتى أن أتطفل على موائد بعض علماء الاخرة ، وانتقى من ذلك ما يليق نشره واشاعته ويحسن بيانه واذاعته ، فان اتيت بما دق فهمه ، أو عسر على بعض العقول علمه .

(١) الكهف : ٦٥.
(٢) البقرة : ٢٨٢.

فاستغفر الله ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فهذا مبلغ جهدى ومنتهى الوسع عندى ، والله الموفق .

قطرة من بحـــر الحقيـــقة

أو هى ذرة او دون ذلك فى الحقيقة ، وصدق اللــــه العظيم « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » ومن ذلك القليـــل ما نص عليه الغزالى والدهلوى رحمهما الله ، ان الـــروح التى يحيا بها الانسان ليست هى الروح التى هى حقيـــقة الانسان وذاته المدركة بل هما روحان متغايران والجسد مطية للروح الاولى ، وهى بالتالى مطية للروح الثانية التى هى حقيقة الانسان ، واذا عجزنا حتى الآن عن معـــرفة الروح الحيوانية ، فنحن عن معرفة الروح الانسانية اعجز ، ولكن .. هل لنا أن نقرر أنها مادة لها طول وعرض وعمق وان كانت لطيفة الجرم كالهواء مثـــلا ؟ .. أو أن لها حقيقة أخرى تخالف بها كل حقائق هذا العالم المنظور وغـــير المنظـــور ؟ ..

الذى أراه — والله اعلم — وارجحه من بين ما قرأته فى المسألة أن الروح الانسانية حقيقة متميزة عن جميـــع حقائق هذا العالم ، وأنها غير خاضعة لوسائل معـــارفه المحسوسة ، وليس بالامكان معرفتها بطريق العقل المجرد. وانما الطريق ما ذكره الامام الغزالى رحمه الله وتقدم بيانه، وانها مع ذلك حين يمكن معرفتها لبعض الخواص من عباد

الله ، لا يمكنهم التعبير عن تلك المعرفة ، فانها ذوق وشعور لا ادراك محدود ، ولا ينكر ذلك ، فكم من حقائق يجدها الانسان فى قلبه ، ولا يملك التعبير عنها بلسانه ، فكيف بما نحن بسبيل بيانه .:. ؟

اذا علم هذا فقول الامام الجنيد رحمه الله « الروح شىء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه ، ولا يعبر عنه بأكثر من موجود » هذا القول صحيح اذا أريد به تعذر معرفة الروح على ماهى عليه فى علم الله ، فان هذا مستحيل فيصبح اذن أن يقال هنا « الروح شىء استأثر الله بعلمه — الخ » أما أن يكون مراده رحمه الله استحالة معرفة قطرة من بحر حقيقتها ، فهذا مما لا يليق به ، وغير الظن به ، فانه امام جليل وقد صرح بعض من لا يرقى الشك الى رتبتهم بما يدل على امكان الوصول الى بعض تلك المعارف ، فيحمل هذا على هذا ، ويفهم كلام الجنيد بما يتفق وكلام الغزالى والدهلوى رحمهم الله ، وهذا أولى من التعارض والله الموفق .

« كالماء فى العود الاخضر »

أما قول جمهور المتكلمين : « انها جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر » فهو قول لا دليل عليه ، فهذا شأن المتكلمين ، ولعلهم قد اشتبه عليهم أمر الروح الحيوانى ، ووجدوا الحياة سارية بالبدن مشتبكة اشتباك الماء بالعود الاخضر فقالوا بما سبق ذكره .

الحق خلاف ذلك ، فان الروح لا يحدها الجسد كما يحد العود الماء . فيكون سطحه الخارجي نهاية روحه الباطني ، ولكن الروح في الحقيقة لها تعلق بالجسد ، ولها كذلك سلطان أو بعض السلطان على ما حولها من انسان وغير انسان ، ولعل أقرب مثال لذلك هو « التنويم بالايحاء » اذ لا ينكر احد أنه انما يتم بتأثير نفس المنوم — اى سلطان روحه — على المنوم ، فلو كان البدن حدا للروح لما أمكن لاحد أن يؤثر فى احد ، ولا يقال ان هذا انما يتم بتأثير البصر ، فان البصر نافذة للروح يطل منها ويؤثر بها أو يتأثر باذن الله ، فان العين بمجردها عضو مادى لا أثر له ولا تأثير دون الحياة فيه « أى الروح » فالروح هى الفعالة باذن الله بالعين ، لا العين بمجردها وبمادتها ؛ فالعين أداة الروح ، والروح مجلاة ادمين ، وكل ذرة فى الجسم للروح فيها تعلق ما وتأثير ما ، يعلمه الله ولا نعلمه « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وبذلك يتبين بطلان القول بكون الروح مشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر ، فذلك يستلزم كون الجسد حدا لها ، ومانعا من تاثيرها فى غيرها ، وليس الامر كذلك على ما بينا .

وأبعد من قول جمهور المتكلمين قول بعضهم :

هى « عرض » يعنى لاوجود لها بنفسها وانما وجودها بالجسد ، وهى الحياة التى صار بها الجسد حيا .

وقد تقدم ابطال مثل هذا القول فى الفصلين السابقين من وجوه عدة ، فلا أطيل باعادته ..

الفصل الخامس

الروح ووجه تعلقها بالجسد

الروح ووجـــه تعلقها بالجسد

تقدم القول ان الروح التى يحيا بها الانسان ، ليست هى الروح التى هى «حقيقة الانسان» أو « ذاته المدركة» ، واذا عجزنا عن معرفة الروح بالمعنى الاول ، فنحن عن معرفتها بمعناها الثانى اشد عجزا ، الا أن الذى نعلمـــه راجحا من أقوال العلماء فيها ، أنها حقيقة متميزة ليســـت كشىء من حقائق هذا العالم ، ولا تخضع لتجارب علمـــاء الحياة ، ولا تبلغ أدراكها وسائل معرفتهم ، ولا يملك كشفها أحدث أجهزتهم ، وما قيل عن تصوير الروح أو وزنهـــا ، يحتاج — على فرض صحته — الى اثبات أن ما وزنوه أو صوروه هو « الروح الانسانية » وليس شيئا غيرها كعالم الجن مثلا حقيقة شرعية قطعية ، لا يجحد وجوده مسلم ، فما يزعمون انه علم تحضير الارواح ، ليس الا كائنات من الجان ، وما يجادلون فيه اليوم سيعلمون حقيقتـــه غـــدا ان شاء الله ، فالعلم فى تقدمه لن يزيد المؤمن الا ايمانا ويقينا بصدق ماجاء به الشرع وتلقاه اذعانا وتسليما .

فان قلت :

فما الدليل على أن الروح الانسانى ليس من طبيعة هذا العالم ولا يخضع لسلطان وسائله .. ؟

اقول : دليلى على ذلك عدة حقائق مسلمة :

اولها : ان الروح لو كانت من طبيعة هـذا العـالم المـادى ، لاحتاجت الى غذاء لنموها وبقائها ، كأى كائن انشاه الله من مادة هذا العالم ، فالانسان مثلا خلق مـن طين الارض ، فهو يعيش على ما نبت من الارض من نبـات وحيوان ، والجان خلقه الله من نار ، فكان غـذاؤه لذلك ما يستمده من نارية العظام ، فقد ورد فى الحديث الصحيح ان العظام طعام اخواننا الجن ، ومعلوم أن العظام بعينها تظل على هيئتها ولا نراها تنقـص أو تتـلاشى ، فعلم أن غذاءهم هو ما تزخر به العظام من مواد جيرية وفسفورية ، ولهذه المواد خواص نارية ، وهكذا نرى بمقتضى سنة الله تعالى ، أن ما خلق من شىء ، فحياته باذن الله على ذلك الشىء المخلـوق منـه .

الـــروح

فاذا تبين هذا ، وعرفنا ان الروح لاغذاء لها من مادة هذا العالم ، ادركنا بالتالى انها ليست من مادة هذا العالم ،

وهذه نتيجة ضرورية ، لمقدمة يقينية ..

اما كونها يقينية ، فيتضح من امور :

( ) يبلغ الانسان أوج نموه العقلى فى سن الاربعين كما قال تعالى « **حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعـين سنة** » بينما يبدأ البدن فى الانحلال والضعف فى هذا السن ، فلو

كانت الروح تعتمد على سلامة البدن وقوته وتستمد غذاءها من غذائه ،لكان من المفروض ان تشاركه شبابه وشيخوخته وضعفه وقوته ، فاذا كان الامر على خلاف ذلك : ثبت أن الروح لا استمداد لها من مادة هذا العالم اصلا .

(ب) يلجأ الصوفية الى انواع من الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية ، يحملون فيها البدن أنواع المشاق ، وضروب الحرمان ، ويذبل الجسد ويضمحل ، بينما تتألق الروح وتشرق فى ظل ذلك الحرمان ، وتتضاعف حيويتها ويعمق فيها الايمان ، ولست بسبيل الحديث عن شرعية تلك الاعمال أو عدم شرعيتها ، ولكن قصدت من ذكرها الى ما تنتجه من اثر لا ينكر فى اذكاء حيوية الروح وتنمية خصائصها لاعبر من ذلك الى اثبات أن الروح غنية عن مادة هذا العالم، وبريئة عن أن يكون شىء منه غذاء لها ومقوما لحياتها .

(جـ) لا علاقة لعافية الجسم فى عافية الروح ، وزعمهم ان « العقل السليم فى الجسم السليم » خرافة مضللة ، ولست أدرى كيف يستمر ترديدها مع ثبوت نقيضها . فقد ثبت ان اقل الناس ذكاء هم ابطال الرياضة بالقياس الى متانة أبدانهم الا ما ندر وشذ عن القاعدة ، ومن كبار العلماء والمخترعين والحكماء من يعانون من أمراض مزمنة ، أو شيخوخة مقعدة ، ولم يعقهم ذلك عن تألق ارواحهم ، وتضاعف آثارهم، فتبين ان الروح تستمد غذاءها من مصدر آخر غيبى يتناسب وسر خلقها ويتفق مع خفايا حقيقتها ،

ولا شأن لها بهذا العالم ، وانما هى فيه غريبة عنه ، ولكنها حبست فيه زمنا لتبتلى ، فاما خسرت واما فازت « **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون** (١) » فنسأل الله أن يجعلنا من الذين سبقت لهم منه الحسنى والذين هم عن النار مبعدون « **لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** » بمنه وكرمه ومحض رحمته آمين .

وثانيها : نؤمن أن الروح تحيا بعد الموت حياة [illegible] بينما الجسد يتخلف عنها الى أصله الذى خلق منه ، ثم يتحلل ويعود ترابا آلا أجساد الانبياء والشهداء ومن شاء الله من عباده الصالحين ، فحرام على الارض أن تأكل أجسادهم الطاهرة ، فتأكد بذلك انتساب الروح الى غير هذا العالم ، لانها تحيا حياتها الحقيقية فى غير هذا العالم وحياتها هناك أتم وأكمل ، سواء كانت منعمة أم معذبة ، بينما الجسد وان كان بالغا فى الطهارة والشرف كأبدان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، هذا البدن غير قابل للحياة فى عالم البرزخ ، أما عالم الاخرة ، فشأنه يختلف عن عالم الدنيا والبرزخ على السواء ، وهناك ينشىء الله الابدان نشأة أخرى ويعيد اليها أرواحها بقدرته « **كما بدأكم تعودون** » وتلك النشأة البدنية الجديدة تتناسب والحياة الاخرة ، فانها الحياة الاكمل ، والعيش الاتم ، وصدق الله العظيم : « **وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا**

---

(١) السجدة : ١٨.

يعلمون (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان العيش عيش الاخرة » ولا يعترض بأن الجسد الترابى هذا سيعيش فى عالم غير عالمه ، فان النشأة متغايرة ، واحكام الجسد الاخروى تخالف أحكام الجسد الارضى ، فبينما الاول باق . فالثانى فان ، وتتعاوره الامراض والهرم ، وفى الاخرة هو مبرأ باذن الله عن العلل والعدم ، وينادى يومئذ بين الجنة والنار « يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت » كما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

سرعة الضوء

والحقيقة الثالثة التى تدل على براءة الروح عن الانتساب الى مادة هذا العالم ، اقررها فيما يلى :

(أ) من بديهيات عالم اليوم ومسلماته اليقينية ، أن سرعة الضوء هى أقصى ما يمكن أن يصل اليه موجود نشأ من طبيعة هذا العالم ، ولا تملك المادة كثيفة كانت أو لطيفة أن تخرج عن اسار هذا القيد وتتعدى تلك السرعة المحدودة ، وأقصى مافى الامكان هو بلوغ سرعة الضوء ، ولكن .. فى هذه الحالة تتحول المادة الى طاقة ، ولا تظل على حالتها الاولى ، ومن هنا قيل : « المادة والطاقة متكافئتان » .

---

(١) العنكبوت : ٦٤ (٢) رواه مسلم .

(ب) اذا تبين هذا تاكد انتساب الروح الى غير هــذا العالم بكل ما فيه من عناصر متنوعة حتى الضوء ، وذلك لان القيد المذكور فى سرعة الضوء لا يحكم الروح ، فهــى قادرة باذن الله على العروج الى أعلى السموات بلا قيد يقيدها ، وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم :

« أرواح الشهداء ، فى حواصل طير خضر ، تسرح فى الجنة حيث تشاء ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش » .

فاذا كانت أبعاد ما أمكن رؤيته ورصده من هذاالعالم تقدر بملايين السنين الضوئية ، لزمنا القول بتجرد الارواح، وبراءتها عن كل علائق المــادة ، لتستطيع العروج الى تلك المنازل العليا ، والا . . فان أرواح شهداء أحد مثلا لايزالون فى بداية الطريق ، ووأضح بطلان ذلك

الاسراء والمعــراج

فان قلت

اذا صح ما ذكرته من أن السرعة القصوى فى هذا الكون هى سرعة الضوء ، ولا يملك أحد التحرر من سلطان هذا القيد ، فكيف تحقق الاسراء برسول الله صلى اللــه عليه وسلم الى المسجد الاقصى ثم العروج به الى ما فــوق السماء السابعة وذلك فى اقل من ليلة واحدة ؟

اقول وبالله التوفيــق :

الجواب من وجهين :

الوجه الاول : قول بعض العلماء ان المعراج كان بالروح لا بالجسد ، فاذا صح ذلك ، اندفع الاشكال الوارد

الوجه الثانى : ان الاسراء والمعراج كانا بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الصحيح والله اعلم ، وذلك ليتحقق الاعجاز فى المسالة ، ويتم الاختصاص فاذا كان ذلك كذلك فلا تحول السرعة المحدودة فى هذا الكون دون تحقق المعراج فى وقت قصير ، فقانون السرعة قانون الهى ، أو هو سنة من سنن الله التى حكم بها هذا الكون ، ولا يحكم شىء على الله ، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا راد لامره ، والاعجاز ههنا يتحقق حين يجرى سبحانه بعض الامور على غير ماجرت به العادة ، وعلى خلاف ما عرفه البشر من قوانين الحياة ، والا فكيف يكون الاعجاز ، وقد ورد فى القرآن بصريح النص ان عيسى عليه السلام كان يبرىء الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله ، واحيا ابراهيم عليه السلام أربعة من الطير باذن الله ، وضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فأى خرق لقوانين الكون ونواميس الحياة اعظم من ذلك .. ؟ وهل يستحيل فى العقل بعد ذلك ان يكون الاسراء والمعراج بالروح والجسد ؟ .

بل اشهد أن الله على كل شىء قدير ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، والله الهادى الى سواء السبيل .

والحقيقة الرابعة أوجزها فيما يلى :

(أ) النوم وفاة صغرى ، كما قال تعالى « **الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (١)** » اى ويتوفى سبحانه التى لم تمت فى منامها وفرق بين الوفاتين مشهود ، فلذلك سمى النوم وفاة صغرى .

(ب) **اذا تمهد هذا ، فان ثبت نقصان وزن جسم النائم عنه فى اليقظة تكون الروح مادة أو كالمادة اما اذا تساوى وزنه فى الحالتين — وهذا ما سيكون ان شاء الله — فالروح كائن مفارق لكافة خصائص هذا العالم وخصائصه ، ويقول الامام الدهلوى رحمه الله فى « حجة الله البالغة » ص ٣٩** : « الروح فى الحقيقة حقيقة **فردانية ، ونقطة نورانية** ، يجل طورها عن **طور هذه الاطوار المتغيرة** ، المتغايرة ، التى **بعضها جواهر ، وبعضها أعراض** ، وهى مع **الصغير كما هى مع الكبير** ، ومع الاسود **كما هى مع الابيض** ، ألى غير ذلك من المتقابلات ، ولها تعلق خاص بالروح الهوائى اولا (اى الروح التى يحيا بها الانسان ويسميه

---

(١) الزمر : ٤٢

النسمة) وبالبدن ثانيا من حيث ان البدن مطية النسمة » انتهى كلامه بنصــه الا ما كان بين قوسين فانه توضيح منى .

قــلت :

وانما ذكرت هــذه الحقيقة — مع انه لامستند لى فيها الا ماقدمت من الحقــائق الثلاث الاولى — لانها مما يمكن التحقق منــه وثباته او نفيه عمليا فى عصر توفرت فيه أدق الاجهزة واكثرها حســاسية ، حتى لقــد أمكن وزن الــذرة أو ما دونها ، والايمان يتجلى فى عصر العلم ،وصدق الله العظيم « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم** حتى يتبين **لهم انه الحق** » .

وللمسألة مــزيد بيان استعين عليه ربى ، واسأله الهداية والرشــاد والســداد ، واعوذ بالله أن أشرك به شيئا اعلمه ، واستغفره لمــا لا أعلمه .

« الحمد لله الــذى هدانا لهــذا وما كنا لنهتــدى لولا ان هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق » .

الفصل السادس

أشواق الروح وأثقال البدن

أشواق الروح واثقال البدن

انتهيت فى الفصـــل السابق الى اثبـــات ان الروح حقيقـــة مجردة ، ولطيفة متفردة ، تغـــاير حقائق هـــذا العـــالم المـــادى وخصائصه ، وتترفع عن جميع مكوناته ونقائصه ، ولهـــا بهـــذا الجسد الانسانى نوع تعلق . حار فى ادراك سره العلمـــاء والبـــاحثون ، وأدركه بنور الله الانبياء والاولياء المكاشفون ، ثم امســـكوا عن الـــكلام ، لتعذر ايصال حقيقته الى الافهام ، اذ لا تحيط به العبارة . ولا تكفى فى بيـــانه الاشارة ، وليست مسائل هـــذا الباب ممـــا أجمعـــت عليـــه الامـــة ، واتفقـــت عليـــه الائمة ، بل فى المســـألة خلاف كبير ، فقـــد امســـك فريق عن الخوض فى الروح ، ومنعوا الـــكلام فيهـــا ، وقالوا لا توصف بأكثر من انها « موجود » واستدلوا بقوله تعالى : ((قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا))(١) .

وتجرأ قـــوم فخاضوا لجتها ، وبحثوا عن حقيقتهـــا ، بعضـــهم بالعقـــل كالمتكلمين ، وآخرون بصـــفاء القلب كالصوفية ، ثم تشـــعبت آراؤهم ، وتعددت مذاهبهم ، وتباينت مشـــاربهم ، فمن قائـــل انها عرض ، ومن قـــائل انهـــا مشـــتبكة بالبدن اشتباك المـــاء بالعود الاخضر ، ومن قـــائل انها الصـــلة بالله ليس غير ، ومن قائل انها « حقيقة فردانية ، ونقطة نورانيـــة ، يجل طورهـــا عن

---

(١) الاسراء : ٨٥

طور هـذه الاطوار المتغيرة المتغـايرة ، التى بعضهـا جواهر وبعضها اعراض » .

القـول الراجح :

وهـذا القول الاخير ، هو الراجح من بين الاقوال . وقـد قدمت برهان ذلك فى الفصـلين السـابقين ورددت مـا دونه من الآراء ، وهو صريح قـول الامام الدهلوى فى « حجة الله البـالغة » والمفهوم من كـلام الامام الغزالى فى « الاحياء » ويسـميها « اللطيفة الربانية » امـا الامام الدهلوى فيسميها « الروح الالهية » وكـلاهما ـ رحمهـما الله ـ يصرح بأنها غير الروح التى يحيا بهـا الانسـان ، والجسد مطية لها ، وهى باقيـة بعد فنائه ، تحيا فى عالم البرزخ ، امـا منعمة واما معـذبة ، ثم يعيد الله الارواح الى ابدانها بالنفخة الثانية ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، فمن يعمـل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمـل مثقال ذرة شرا يره ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فان قـلت :

فهل من جنـاح على احد ان يعتقد ماشاء من الآراء المذكورة ، ام يجب عليـه ان يسـلم بهـذا الذى ذكرت انه الراجح ؟ .

اقـول .

بـل الواجب مـا اوجبـه الشرع بصريح النص

وصحيحة ، وما عدا ذلك مما جرى فيه خلاف لاحجة فيه لاحد من العلماء على احد ، بل الحجة للدليل القوى الواضح ، بزعم أن هذا هو القول الراجح ، فمن تبين له الحق ، وجب عليه اتباعه ، ومن لا فلا ، وما ربك بظلام للعبيد ، فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

الروح والجسد :

اذا كانت الروح هى الانسان بالحقيقة ، فلا يعنى هذا أن الانسان انسان بالروح وحده ، والجسد لايعنى شيئا ، بل الصحيح ان الانسان انسان بمجموع الروح والجسد ، ولا يعارض هذا ما سبق تقريره من أن الروح هى حقيقة الانسان ، وانها العالمة المدركة المنعمة المعذبة ، وهى الذات ، وهى التى توجه عليها الخطاب بقوله تعالى : ((**يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**)) (١) .

وكذلك لايعنى القول بأن الانسان بمجموع الروح والجسد ، لايعنى هذا أن الانسان نصفان أو انه ثلث وثلثان ، ولا أدنى من ذلك ولا اكثر ، بل هو على

(١) الفجر : الآيات ٢٧ ومابعدها .

الحقيقة بالروح ، فهى ذاتــه المدركة ولطيفته الربانيــة العــالمة ، ولها بالجســد تعلق خاص ، لضرورة تحقــق الابتــلاء لها ، ولزوم مرور المحن بهــا ، فانها بمجردهــا غير قابلة للاحتباس فى هذا السجن الارضى ، فانها روح ، وهى طاهرة بذاتهــا ، وانما دنستها المعاصى ، منطلقــة بطبيعتهــا ، وانما قيدتهــا الابدان ، فلزم هــذا الــذى قــدر الله وكان ، فتلبست بالتراب ، وابتليت بشــوائبه ، وكلفت بالتطهر عن علائقــه وطولبت بالتخلص من أثقاله ، والتعالى على اوضــاره ، لتخلص الى الله نقية طاهرة ، مبراة عن كدورات البــدن ، منزهة عن دنس الشــهوات ، وصــدق الله العظيم ((**قــد افلح من زكاها ، وقــد خاب من دساها**)) (٢) . وقــال سبحــانه ((**قد افلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصــلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى**)) (٣) . وقــال سبحانه ((**يوم لاينفع مــال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم**)) (٤) .

فكان الابتلاء علــه خلــق الموت والحيــاة . وكان حبس الروح فى البدن وســيلة ذلك الابتلاء ، وصدق الله العظيم ، ((**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عمــلا**)) .

---

(٢) الشمس : الاية ٩ — ١٠

(٣) الاعلى : الايات ١٤ وما بعدها (٤) الشعراء الاية ٨٨ ، ٨٩

أمـــا لمـــاذا لم يخلقنا الله ابتداء فى الجنة ، ثم لا نبتلى بعدها أبـــدا ، فذلك امر الله وقـــدره وهـــو على تمـــام الحـــكمة والعـــدل ولو انكشـــف الغطـــاء ، وزال الغموض والخفـــاء ، وادركنا سر الخلق والقضـــاء ، لمـــا وجـــد احـــدنا على الله سبيلا ، بل لله الحجة البـــالغة . على خلقه اجمعين ، لا يســـأل عما يفعـــل وهم يسألون . ان ربى على صراط مستقيم .

معصية آدم عليه السلام :

ومعصـــية آدم عليه السلام ، مـــا هى بمجردهـــا التى اخرجتنا من الجنة حتى شـــقينا فى الارض فلو لم تقع لمـــا وقع ما وقع ؟ كلا .. فالامر ابعـــد من ذلك واعمـــق « ولو » تفتح عمـــل الشيطان ، ولكن قـــدر الله وما شاء فعـــل ، والامر على مـــا كان لابد أن يكون كما كان ، لامفر من ذلك ، ولا مهرب ممـــا هنالك والله ســـبحانه وتعـــالى حين خلق آدم من طين الارض ، اراده أن يكون خليفـــة فى الارض ، وأراد منـــه المعصـــية ، وأرادها من ذريتـــه من بعـــده ، ارادة قدرية كونية ، وليســـت ارادة دينيـــة شرعية ، فآدم عليه الســـلام ، خلق أصـــلا ليـــكون فى الارض لا فى الجنة ، ولتـــكون منه الذرية ، ولتـــكون من ذريتـــه المعصـــية ، كل ذلك بتدبير من حكيم عليم ، سبحانه أن يقع فى ملكه مالا يشاء أو يشـــاء مالا يكون ، بل اذا اراد سبحانه أمرا فانما يقول له كن فيكون ، وهذا بخلاف

الامر والنهى الشرعيين اللذين جاء بهمـــا الانبياء المرسلون فانهما قد يتخلفـــان وقـــد لا يتخلفـــان ، كما يريـــد الله لا كما يريد غيره .

امـــا دليل خلق آدم ليكون فى الارض ابتـــداء وفى الجنة انتهـــاء فواضح فى قـــوله تعـــالى للملائكة « **انى جاعـــل فى الارض خليفة » « واذ قـــال ربك للملائكة انى جاعـــل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفســـد فيهـــا ويسفك الدمـــاء ونحن نسبح بحمدك ونقـــدس لك، قال انى اعلم مالا تعلمون » (١)** .

فالمعصية كانت على آدم حتما مقضـــيا ، وعلى ذريته من بعده كذلك ، ومـــع علمه عليه الســـلام بذلك ، وان غوايته كانت عليه قـــدرا مقدورا ، لم يحتج بالقـــدر ، ولا اعتذر بالقضـــاء ، كما فعـــل ابليس اللعين حين قـــال « **فبما أغويتنى لاقعـــدن لهم صراطك المستقيم » (٢)** . بل تطامن عليه الســـلام وخضع ، وذل لله وخشـــع ، وتاب واناب ، وقـــال وزوجه « **ربنـــا ظلمنـــا انفســـنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٣)** .

---

(١) البقرة : ٣٥.
(٢) الاعراف : ١٦.
(٣) الاعراف : ٢٣.

فمن تاب من بعـــد ذنبه واصلح التحق بأبيه آدم حين نـــدم واستغفر ، ومن اصر على معصــيته واحتج بالقدر التحق بعـــدو الله ابليس حين ابى واســـتكبر « **يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهمـــا ليريهمـــا سؤاتهما انه يراكم هـــو وقبيله مـــن حيث لا ترونهم ، انـــا جعلنا الشـــياطين أوليـــاء الـــذين لا يؤمنون ، واذا فعلوا فاحشـــة قالوا وجـــدنا عليهـــا آباءنا والله امرنا بهـــا قـــل ان الله لا يامر بالفحشـــاء ، أتقولون على الله مـــا لا تعلمون ، قـــل امر ربى بالقســـط واقيموا وجوهكم عند كل مســـجد وادعوه مخلصـــين لـــه الدين كما بداكم تعودون ، فريقا هـــدى وفريقا حق عليهم الضـــلالة ، انهم اتخذوا الشـــياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون — الاعراف (١) .**

سر المعصـــية :

امـــا سر المعصـــية ، ولصوقهـــا بالانســـان على تفاوت ، فناشىء بتقدير الله من خصـــائص الطينة ، ومبدأ الجبلة ، اذ الروح كما قـــدمت طاهرة فى ذاتها ، ولكنهـــا تلبســـت بالتراب ، وتلوثت بأوضـــاره ، وتلونت بآثاره ، فجاهدت للتخلص من شـــوائبه واثقاله ، فما يجده الانسان فى نفســـه من ميل الى الشهوات وثقل عن اداء الطاعات .

---

(١) الاعراف ٢٧ .

فمن خصائص الطين ، وما يجـــده فى قلبه من اشواق الى الكمال ، وتطلع الى الســمو والكمال ، فمن خصـــائص الروح ، فلايهما كانت الغلبة ، كان الســـلوك والاتجـــاه « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

« وعصى آدم ربـــه فغوى » وهذا من أثر الطين .

« ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » وهـــذا انتصار الروح .

فكل ابن آدم خطاء اذن ، وخير الخطـــائين التوابون كما قـــال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم ، ولعـــل مـــا قدمت هو المراد بقوله صـــلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا ، لذهب الله بكم ، واتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم » (١) .. فليس المراد من الحـــديث الحث على الذنب ، فليس هذا بمتصور من رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ، ولا هو يصدر عنه وهو الداعى الى توحيد الله وطاعته ، ولكن عليه الصـــلاة والســـلام يشير الى سر الخلق ، وطبيعـــة الجبلـــة ، ولوازم النشـــأة الانســـانية ، ويشير عليه الصـــلاة والســـلام الى شىء من سر القدر ، اذ اراد الله ان يخلق الخلق ليكون منهـــم الذنب والاستغفار والتوبة بعـــد المعصية والاســـتكبار ، وذلك من مقتضى الحكمة الالهية الربانيـــة ، ووراء ذلـــك

(١) رواه مسلم .

سر القــدر الذى منعنــا من الخوض فيــه ، والبحث عن غوامضـــه وخوافيه ، بــل نسلم بما جاء عن المعصـــوم صــلى الله عليه وســـلم ، فنؤمن بالقــدر خيره وشره ، ونؤمن بعدل الله وحكمته ، ونؤمن بكمال عنــايته وشمول رحمته « **ربنا وسعت كل شيء رحمـــة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا ســـبيلك وقهم عـــذاب الجحيـم** » (١) .

فمــا علمنا مما علمنا حمدنا الله واســـتزدنا ، ومــا جهلنا مما صح لدينا آمنا به وســـلمنا « **هو الذى أنــزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتـــاب وأخـــر متشـــابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون مــا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغـــاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراســـخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عـــند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعـــد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب** » (٢) .

الحمد لله الـــذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق (٣) .

---

(١) غافر : ٧
(٢) آل عمران : ٧
(٣) الاعراف : ٤٣

الفصل السابع

هل تنفك الروح عن الجسد؟

الاحدية التامة ، والفردية المطلقة ، من صفات الكمال ، التى لا تنبغى الا لله ، ولا يتصف بها أحد غير الله فكل ماسوى الله معلول بالازدواج ، مبتلى بالفقر والاحتياج .

ولا أعنى الثنائية بالازدواج ، ولكن ما أعنيه هو مطلق التعدد والتركيب .

فكل ما سوى الله قائم على هذا الازدواج وكائن به .. وصدق الله العظيم :

« ومن كل شيء خلقنا زوجين » (١) ومن كل شيء .. دون استثناء شيء ..

فما خلق الله شيئا أصلا قائما بذاته فردا (احدى) الذات من كل وجه مطلقا .

فذلك مما تفرد به سبحانه .. وغير الله يمتنع ان يتصف بصفات الله .

بل لا قابلية له البتة بمقتضى انه مخلوق ان يتصف بصفات الخالق ..

---

(١) الذاريات : ٤٩

والاحدية من تلك الصفات .

فالتركيب والازدواج كائن فى كل شىء ، لا ينفك عنه البتة شىء .

حتى الذرة ، وقد كان يظن انها جزء لا يتجزأ تبين أنها عالم يشبه فى تركيبه عالمنا هذا الكبير .

وحتى المعانى والصفات ، مبناها على الازدواج والتضاد ، بل اقول : لاوجود لها اصلا لولا هذا الازدواج : فلو لا الجهل ما عرفنا السهل ، ولولا السطوح ما ادركنا السفوح وبظلمة الليل ميزنا ضياء النهار : والاشياء تستبين بأضدادها ، وهذا من بعض سر امتناع الذات الالهية على العقول ، فانه سبحانه لاضد له فيعرف به ، ولاشبيه لذاته فيقاس عليه ، بل هو الله الذى لا اله الا هو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوا احد .

الملائكة والازدواج :

فان قلت :

ان صح قولك هذا فى كل شىء ، فانه فى حق الملائكة ممتنع ، فانهم براء عن الزوجية ، مترفعون عليها .

قــــلت :

ان عنيت بالزوجية الــذكورة والانوثة كما فى الانس والجن فهذا ممتنع حقا ، والملائكة عن ذلك منزهون .

أمـــا ان أردت مطلق التعدد والتركيب فالملائكة ككل خلق الله بذلك متصفون ..

قال تعالى : ((**الحمد الله فاطر الســموات والارض جاعــل الملائكة رســلا أولى أجنحة مثنى وثلاث وربــاع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير**)) (١) .

وجه الدلالة قوله تعالى : ((**أولى أجنحة مثنى وثلاث وربـــاع**)) .

وسواء كان المعنى أجنحة حقيقية نورانية ، أم اشارة لقوى روحانية ، أم غير ذلك من المعانى ، فالذى دلت عليــه الاية هو وجود التعدد والتركيب فى ذوات الملائكة بما يناسب خلقهم ولا يضر جهلنا بحقيقتهم فى اثبات عــدم أحديتــهم ، فالتركب ثابت معلوم ، والكيف غيب مجهول .

وهذا ما قصدت اليه من التمهيد المتقدم ، فهو مايعنينا ونحن بسبيل بيان حقيقة الانسان .

أما ان الله خلق الانسان من ذكر وانثى فهذا واضــح جلى ، ولكن ليس هذا ما اردت :.

---

(١) فاطر : ١

وانما أردت ازدواجا آخر أخفى وادق ، ذلك هو ازدواج الــروح والبــدن :ـ

سبق أن قررت أن الروح مخلوق مجرد عــن المــادة وعلائقها ، منزه عن الجسمية ولواحقها ، وهى حقيــقة فردانية ، ونقطة نورانية كما يقول الامام الدهلوى رضى الله عنه ، وما كان هــذا شأنه لاقيام له الا بالازدواج ، ولاكينونة لذاته الا بالتركيب ، لان الوحدانية ـــ كما سبق بيانه ـــ هى من صفات الله وحده ولا يشــاركه فيها أحــد من خلقه ، لذلك كانت الروح متعلقة بالجسم مذ نفخت فيه ، وتحقق فى تلك اللحظة وجود الانسان ، لضرورة الجســمية لبــروز الروحانية ، وتأكد وجود البدن مظهرا للروح ومجلى لها ، ومنه تنمى باذن الله خصائصها،وتصل الى كمالاتها التى كتب الله لهــا ، حتى تلقى الله وقــد استعدت لذلك اللقاء ، وتهيأت للخلود والبقاء، فان لم تفعل ، فليس لها الا الشقاء الذى سبق به القضاء وصدق الله العظيم ((قد أفلح مــن زكاها وقد خاب من دساها (١))) أى أخفاها بالمعاصى . فكأن المعصية تظلم الروح فتخفى حقيقتها وتفسد جوهرها ، فــلا تعود صالحة لذلك المقام الكريم ، ونسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة ، فان العافية هى عافية القلب فى الحقيقة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمــون :ـ

---

(١) الشمس : ٩ ـــ ١٠ .

ولنعد الى بيـــان تعلق الروح بالجسد ..

قلت انه لابد للروح من التعلق بالجسد لانها حقيـــقة فردة ، ولا متفرد بالوحدانية الا الله ، لذلك كانت الـــروح متعلقة ببدنها فى جميع مراحل النشؤ الانسانى نوعا من التعلق يعلمه الله يختلف باختلاف الاطوار الانسانية .

واذا نظرنا وجدنا ان للروح خمسة انواع من التعلقات بهـــذا الجســـد .

الاول : تعلق بالجســـد منذ نفخ الروح فيه بعد تمام مائة وعشرين يوما من تحقق الحمل ..

الثانى : تعلق الروح بالجسد بعد الولادة .

الثالث : تعلق الروح بالجسد حال النـــوم .

الرابع : تعلق الروح بالجسد بعد الموت .

الخامس : تعلق الروح بالجسد بعد البعث والنشور . وهـــو أقوى التعلقـــات .

وبيــــان ذلك ....

أولا : قد صح فى الحديث أن الروح تنفخ فى الجنين بعد الاربعين الثالثة ، وقد سبق ان بينت ان هـــذه ليست هـــى الروح التى يحيا بها الانسان فانه حى قبلها ينمو ويتغذى ، ولكنها أمـــر ربانى قدمت أراء العلماء فيه وبينت الراجـــح

منها ، والذى يعنينا الان بيان أن هـذا التعلق للروح بالجسد حالة كـونه جنينا هو تعلق خاص يغـاير كافة التعـلقات اللاحقة ، فان كثـيرا من وظائف البدن تكون معطلة وهـو فى الرحم ، فالجنين لا يتناول غذاءه من فمـه ، ولا يخـرجه بالتالى ، ولا يبكى ، ولا يتنفس ، ولا يرى ، ولا يسمع ،وتبعا لكل ذلك فانه لا يتعلم **« والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا »** والعلم من اخص خصائص الانسان ، وما خلق فى الحقيقة الا ليعرف ربه **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** (١) **»** فتحقق بذلك وجود تعلق للـروح ببـدنها تتحقق به الانسانية ولا يتم به كمالها ، انمـا هـو الانسان فى أول اطـواره .

ثانيا : تعلق الروح بالجسد عقب الولادة ومغايرته لما قبله واضحة ، فالروح هنا تتعلق بمملكتها تعلقا اتم وأكمل ، وتستخدم من اعضاء البدن ماكان معطلا هناك ، ونلج بالولادة عالمـا غريبا عنها ، كتب عليها أن تكابد مشقته وتقاسى محنته ، لامفر لهـا من ذلك منذ اللحظة الاولى حتى تعبـر عالمها الثانى عالم الدنيـا الى عالم البرزخ ، وهو معنى قوله تعـالى **« لقد خلقنا الانسان فى كبد** (٢) **»** اى فى مشقة ، فلا ينجو من عوارض الحياة الدنيا انسان ولو صفت الدنيـا

---

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) البلد : ٤

لانسان لصفت للانبياء وصدق الله العظيم « **يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه (١) »**

ثالثا : تعلق الروح بالجسد حال النـــوم ، فانه وفاة.

قال تعالى : « **الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها المـــوت ويرســل الاخرى الى اجل** مسمى » (٢) .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم عند النوم « باسمك اللهم **امـــوت واحيـــا** » .

وعند اليقظة : « الحمـــد لله الذى رد عـــلى روحى وعافانى » و « الحمد لله الذى احيانا بعد ما أماتنا واليـــه النشـــــور » .

فدلت النصوص الشرعية دلالة واضحة قطعية ، على قبض الروح حال النوم وردها عند اليقظة ، ومعلوم كـــذلك يقينا أن النـــائم ليس ميتا حقيقة ، فكونه حيا لا يخفى على ذى عينين ، فأدركنا بالضرورة وجود تعلق للروح بالجسدمع كونها متوفاة حقيقة ، **الا أن هذه الوفاة ليست كتلك الوفاة** ، فاصطلحنا على تسميتها « وفاة صغرى » للتفرقة بينها وبين الوفاة الكبرى التى تلج فيها الروح عالم البرزخ .

---

(١) الانشقاق : ٦.

(٢) الزمر : ٤٢

وقد شبه بعض العلماء حالة النوم بوجود الشمس مع حيلولة السحب دون وصول أشعتها الى الارض ، وشبه حالة الوفاة بغروب الشمس وانقطاع مددها عن الارض ، فبالنوم يحول حائل دون تمام تعلق الروح بالجسد ، وبالوفاة ينقطع تعلقها به ولكن لا بالكلية كما سيأتى بيانه ان شاء الله.

رابعا : — تعلق الروح بالجسد حال الوفاة الكبرى وهذا ما قد يستغرب ويردده ، كثير من الناس ولكن عدم ادراك الشيء ليس كافيا لرده اذا استقام الدليل على وجوده ودليلنا على المسألة ما يلى : —

(أ) صح أنه صلى الله عليه وسلم كلم قتلى المشركين ببدر بعد أن رماهم بالقليب قائلا لهم « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، انى وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال له اصحابه كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال : ما انت بأسمع لى منهم ، ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا (١) .

ووجه الدلالة فى الحديث كونه صلى الله عليه وسلم قام عليهم فى القليب وخاطبهم كأنهم امامه احياء ثم نسب اليهم السمع وهم أموات فدل ذلك على تحقق سمعهم بشرط القرب منهم قربا يجعل وصول الخطاب اليهم ممكنا،فلم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه خاطب احدا من الموتى سواء كان من المسلمين أم من غيرهم عن بعد ، بل كان حين يزور أموات المسلمين فى البقيع يسلم عليهم ويستغفر لهم ، وما حفظ عنه

---

(١) رواه مسلم .

انه القى السلام عليهم وهو فى المدينة وان كان يستغفر لهم صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فى غير وقت الزيارة .

ويدل لما قلته كذلك ما روى من أن الميت يسمع وقع اقدام مشيعيه (١) ، فلو لم تكن الروح تعلق بالجسد الميت لما كان ثمة فائدة من ذكر سمعه لوقع أقدام مشيعيه بل كان يقال ان روح الميت تسمع وترى كل ما يجرى على الارض على حد سواء ، فانها مطلقة ولا يقيدها شىء .

(ب) مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول . وأما الاخر فكان يمشى بالنميمة بين الناس (٢) » .

وجه الدلالة فى الحديث كونه صلى الله عليه وسلم ادرك بنور النبوة عذاب الميت فى قبره ، ومعلوم أنا لو كشف قبر من نوقن بعذابه كالكافر مثلا لما وجدنا أثرا لذلك على بدنه. ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم لعذاب المعذب حق لامرية فيها ، فعلمنا انها كشف لما فى عالم البرزخ من عجائب . أطلعها الله عليها بعين النبوة ، وكون هذه الرؤية حاصلة عند القبرين يدل على تعلق الروح بجسدها تعلقا برزخيا

---

(١) جزء من حديث رواه ابن ابى الدنيا مرسلا وقال العراقى رجاله ثقات وروى الحاكم مثله على شرط الشيخين .

(٢) متفق عليه .

خاصا يخالف سائر التعلقات ولا يعلم سره على الحقيقة الا الله ، حتى لو بلى الجسد وتحلل .

خامسا : تعلق الروح بالجسد عند البعث ، وهو اقوى التعلقات واكملها ، اذ الجسد حينئذ باق خالد ، غير قابل للفناء ، وهى النشاة الاخرة والاخيرة كما جاءت بذلك النصوص .

والجسد الذى تتعلق بهفى الآخرة هو بعينه هذا الجسد الدنيوى بدليل قوله تعالى : « **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** (١) » فلو لم تكن تلك الايدى والارجل هى بعينها التى كسبت ما كسبت لما كانت شهادتها صادقة ، ولكن الله يقول الحق وهو يهدى السبيل، فتبين أنها ذات الجوارح الاصلية وهذا لا يمنع من تحولها فى النشأة الاخرة الى أجسام تناسب ذلك العالم وتخضع لاحكامه ، مع صدق القول بكونها عين هذه الاجسام ، والله أعلم ..

فان قلت :

يرد عليك اشكالان ، أما احدهما فكيف تتعلق الروح بالبدن حال الموت وقد تحلل البدن وصار ترابا .

---

(١) يس : ٦٥ .

والثانى : كيف تقول بعودة هذه الاجسام بعينها فى الأخرة مع كون الجسد يتبدل كل حين بتجدد خلاياه فجسد الانسان حال كونه طفلا ليس هو عين جسده حال كونه شيخا .. ؟

قلت : قد سبقنى لدفع هذا بعض علمائنا الاعلام وسأذكر ان شاء الله شيئا مما أوردوه فى الفصل القادم ان شاء الله .. والله الموفق لارب غيره ولا اله سواه وهو حسبى ونعم الوكيل . والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثامن

كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب

كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب

تقدم ان الروح « حقيقة فردانية » .. وما كان هـذا شانه لا قيام له .. فلزم لهذا تعلقه بالبدن .

اذ الاحدية من صفات الاله وحده ، تعالى عـن أن يشاركه فيها أحد من خلقه ..

فكل ما سوى الله معلول بالازدواج ، مبتلى بالفقـر والاحتيـاج .

والله هو الغنى الحميد ، سبحانه ما اتخذ صاحبة ولا ولـدا ...

فلزم لبقاء الروح تعلقها بالبدن منذ بـدء نشأتها فى جميع اطـوار خلقتها ..

حتى بعد الموت ، لها بالبدن نوع تعلق .. وهو مذهب جمهور اهـل السـنة ..

قال الامام الشعرانى فى اليواقيت ج ٢ ص ١٤٠ :

« وقال بعضهم : يعذب — أى الميت — بلا اعادة روح فاذا عاد اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم ، وهذا ليس بشىء ، لمـا صح فى ابى داود وغيره ، مرفوعا أن الروح تعود الى الجسد » انتهى بنصـه .

وقوله « الروح تعود الى الجسد » اى فى القبر لاخلاف فى عودتها اليه بالبعث .

ويرد ههنا اشكالان ذكرتهما فى الفصل السابق ووعدت بدفعهما فى هذا الفصل ان شاء الله ..

أما الاشكال الاول : فكيف يعقـل تعلق الروح بالجسد وقـد بلى وتحلل ؟

الاشكال الثانى : كيف تعود الاجساد بعينها يوم القيامة ومعلوم أن الجسد يتجدد بتجدد خلاياه على الدوام ، فجسد زيد طفلا ليس هو عينه شيخا ، فأيهما الذى يبعث ، وأيهما الذى يستحق البقاء والخلود ؟

فأقول والله المستعان :

أما عن تعلق الروح بجسدها بعد فنائه وتحلله .فذلك انما يكون بجزئه الذى لا يفنى ولا يتحلل ، وهى الذرة الاصلية التى خلق منها الانسان واخذ عليها الميثاق « ألست بربـكم قالوا : بلى » وهذه الذرات مجموعة فى الطينة الاصلية التى خلق منها آدم عليه السلام ، ففى آدم جميع ذريته كأمثال الذرة ، ومنه عليه السلام انحدرت باذن الله الى سائر الذرية الى أن تقوم الساعة . قال تعالى : « **وإذ أخـذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بـلى** » (١) .

---

(١) الاعراف : ١٧٢

الذرة الاصلية وعجب الذنب

وهذه الذرة الاصلية باقية لا تفنى ، وان كانت تتبدل فى الصورة ، ومنها ركب الانسان ومنها يعود باذن الله ، وقد عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعجب الذنب » فقد جاء فى البخارى ومسلم ما نصه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة « وقد قال بعض العلماء انه فى سفل الصلب عند رأس العصعص ، ولا أرى ذلك — والله اعلم بالحقيقة — فان هذا الذى اشاروا اليه يفنى كبقية الجسد والحديث نص على عدم فنائه ، ودليل آخر اجده فى رواية لمسلم « كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة » والدليل قوله صلى الله عليه وسلم « منه خلق » ومعلوم أن الانسان لم يخلق من عظمة العصعص ولكن من الذرة الاصلية المجموعة فى طينة آدم والمنحدرة من صلبه عليه الاسلام فترجح أن مراده صلى الله عليهو سلم « بعجب الذنب » هو تلك « الذرة الاصلية» كما بينت والله أعلم .

وعلى كل حال ، انما مرادى اثبات ان جزءا ما بالجسد الانسانى لا يفنى به تتعلق الروح فى البرزخ ، وهو سر فردية الانسان وتميزه عن كل ماعداه من خلق الله ، وهذا الجزء هو سبب احتفاظ الذات بخصائصها مهما

تبدلت خلايا الجسد أو زرع فيه جزء من غيره ، وهذا الجزء سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجب الذنب » فنقف عند التسمية ونكل علم حقيقتها الى الله تعالى .

فان قلت : كيف يعقل ان تجمع تلك الذرة الاصلية خصائص الفرد وذاتيته ؟

أقول : كما يعقل اجتماع الانسان الكامل بكافة خصائصه فى الحيوان المنوى والبويضة ، وهما من الصغر بما هو معلوم ، وقد ثبت اليوم ان الذرة التى هى لبنة الخلق المادى الاولى تشتمل على نواة تدور حولها مجموعة من الكهارب ، وهذه من الصغر بحيث أن المسافات التى تفصل بينها بالنظر الى احجامها تقرب من المسافة التى تفصل بين نجوم السماء فسبحان من لا يحيط بحقيقة ذاته وصفاته الا هو ، وصدق الله العظيم « **وما قدروا الله حق قدره** » .

فان قلت : قد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على انها اعظم فقال : « الا عظما واحدا » .

أقول : يحتمل انها فى العظم ، فيكون العظم مقرها، وليس المعنى انها عظم على الحقيقة فان كافة عظام بنى آدم يبلى ، وكذلك قد جاء فى رواية مسلم مايدل على أن تلك الذرة هى مبدأ خلق الانسان ، فلزم أن تكون فى النطفة ، ومعلوم أن النطفة لاعظم فيها .

وباندفاع الاشكال الاول ، يندفع الاشكال الثاني بالتبع ، فان اساسهما واحد ، وهو كيف يعقل تعلق الروح بالجسد بعد الموت وقد فني ؟ وكيف يعقل عودة الاجسام بعينها يوم القيامة وقد تبدلت ؟

فاذا تبين في دفع الاشكال الاول ان الفرد كامن في الذرة الاصلية التي اخذ عليها الميثاق ، وتبين بالنص الصحيح كذلك بقاؤها وعدم فنائها ، وانها مبدأ الخلق والاعادة في البداية والنهاية ، اذا تقرر هذا لم يعد للاشكال الثاني وجود .

وتوضيح ذلك اتركه للشيخ ابي طاهر القزويني نقلا عن كتاب اليواقيت والجواهر للامام الشعراني رحمهما الله . ج٢ ص ١٥٨

قال الشيخ أبو طاهر القزويني : « وبالجملة ، فحصول علم البدء والاعادة ان يعلم أن الارض التي خلق منها آدم عليه السلام ، قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها ، وهو قوله تعالى : « من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره » (١) قيل معناه فقدر له روحا ، ثم لما اخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة

---

(١) عبس ١٩

بروحها وآخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد ارواحهم الى خزانة الغيب » .

الى ان قال رحمه الله « ثم انه يرد اليهم فى القبور ارواحهم عند سؤال الملكين ، فكانت الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ، ومن هنا غلطت المعتزلة فانكروا السؤال » .

ثم قال : « ان الانسان مادام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوى وتزاور الهامى ، وان صارت هى فى الصورة رفاتا ، فالاخبار وردت بأن القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ، هكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد المعاد فى النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى ، فينقيها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ، ويعجنها بالامطار الشبيهة بمنى الرجال كما جاء فى الاخبار ، فتهيأت حينئذ لقبول ارواحها ، وكانت ارواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه ، فاذا نفخ فى الصور النفخة الآخرى طارت الارواح من مكانها الى أجسادها التى فارقتها بالنفخ اسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى : « كما بدأكم تعودون »(١) انتهى بنصه .

---

(١) الاعراف : ٢٧.

النشـــاة الاخرى

فان قيل ــ اذا كانت النشأة الاخرى هي عين الخلق الاول فكيف كانت الاولى قابلة للفنـــاء دون الاخرة ؟ .

اقول والله المستعان : لا يلزم من اعادة الجسد بعينه كونه على نفس طبيعته ، بل كما تبدل الارض غير الارض والسموآت مع أن مادتهما في الحالين واحدة ، كذلك يبـــدل الجسد غـــير الجسد مع أن مادته الاصلية هي هي عـــلى كل حال . ويقـــرب هذا المعنى صيرورة المـــاء ثلجا تـــارة وبخارا تارة اخرى والعين واحدة لم تتغير وان تعـــددت الصور والاشكال فلا يمتنع على القدرة الالهية أن تنشـــىء الذرة الاصلية نشأة جديدة يخلق منها الجسد الاخروى خلقة غير قابلة للفنـــاء كما أن السموات والارض اليوم قابلتـــان للفنـــاء وموعد ذلك الساعة ثم يعيد الله بناءهما كما يشاء بحيث يمتنعان باذنه على الفناء .

وقد نص علماؤنا على أن الله اذا خلق شيئا لا يعدمه، ولكن يغيره من حال الى حال ، ولعله المراد بقوله تعالى : ((**نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في مالا تعلمون** (١))) .

---

(١) الواقعة : ٦٠ ، ٦١

وقول علمائنا السابق كشف عنه العلم الحديث كقانون من قوانين الكون حين ثبت أن المادة لا تفنى ، بل تتحول فى الصورة والعين واحدة ، فالمادة تتحول الى طاقة ، والطاقة تعود باذن الله مادة ، ولا ينعدم شىء خلقه الله الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما .

ولا يفهم من كلامى هذا ان الانسان يبعث على صورة تخالف صورته فى الدنيا ، فهذا لم يرد فيه نص ومالا نص فيه من علوم الغيب لا اذن لنا فى الحكم عليه ، والامر باق عندنا على موافقة النشأة الآخرى للاولى فى الصورة ، مع المخالفة لها فى الطبيعة ، فذرات البدن هنا قابله للفناء خلافا لما هنالك ، وهذا هو القدر الذى نجزم به ونكل علمحقيقة الصيرورة الى الله جلت قدرته .

وقد صح فى الحديث أن ضرس الكافر فى النار مثلجبل احد (٢) ، فاذا كان ضرسه كذلك فما مقدار جسمه ؟ وصح ايضا اننا نبلغ ستين ذراعا فى السماء طول ابينا آدم ، هكذا ورد فى النص ، وهو من معنى قوله تعالى « وننشئكم فى ما لا تعلمون » .

يوم تبدل الارض

والمقصود مما تقدم ، أنه لا يلزم من اعادة الجسد بعينه لصوق عوارضه به ، ولا كمون عوامل الفناء فيه ،

---

(١) رواه البخارى .

فتبدل الطبيعة ممكن مع بقاء العين ، ويدل لذلك قوله تعالى: « **يوم تبدل الارض غير الارض والسموات** (١) » وجه الدلالة قوله تعالى « يوم تبدل الارض » فبين سبحانه وقوع التبديل مع قوله سبحانه فى آية اخرى « **ومنها نخرجكم تارة اخرى** (٢) » فتبين ان التبديل ما أصاب عين الارض ؛ والا لما كانت هى الارض التى خلقنا منها فاقتضى ذلك انتكون الارض التى وقع عليها التبديل هى الارض التى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فالتبديل ثابت معلوم والكيف غيب مجهول ، والايمان ببقاء عين الارض التى منها خلقنا واجب ، وكذلك القول فى المعاد البدنى فانه عين ماكان فى الدنيا مع تبدله بما يناسب عالم الاخرة وان كانت حقيقة الحقائق خفية ، فهذا شأن عالم الغيب ، والايمان به مما تفرد به المؤمنون ، وسبق به المفلحون « **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** » .

« **فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون** (٣) ». وفى الحديث القدسى :« اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر » متفق عليه .

---

(١) ابراهيم : ٤٨

(٢) طه : ٥٥

(٣) السجدة : ١٧

فعالم الاخرة مغاير لعالم البرزخ ، وعالم البـــرزخ مغاير لعالم الدنيا ، وعالم الدنيا مغاير لعالم الارحـــــام ، والانسان فى كل ذلك يتنقل من طور الى طور ، ويجتاز عالما الى عالم اوسع منـــه وارحب حتى يلقى الله اما ســـعيدا فيسعده ، واما شقيا فيشقى ، وما ربك بظلام للعبيد ؛ ونسأل الله العافية فى الدنيا والاخرة .

حقيقتك لا تتغيــر

والذى لاشك فيه مثقال ذرة ، انك انت بحقيقتك التى انت عليها اليوم ، هو انت بحقيقتك التى كنت بها وانت فى بطن أمك ، وستظل بها فى جميع اطوار نشأتك ، ويمتنع عليك ان تصير الى غير حقيقتك الانسانية ، مشتملا على اللطيفة الربانية ، التى هى جوهر انسانيتك ، وحقيقة ذاتك ، فمن قال بالتناسخ فقد كفر بدعواه خــلاف ما علم من الدين بالضرورة ، وزعمه أن زيد اليوم قد يكون عمرو الامـس وروح فلان قد عادت فى كلب الجيران لانه اساء فى دنيـــاه فعاقبه الله بحبس روحه فى جسد ذلك الحيوان .. ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام عـــلى المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفصل التاسع

من أسرار الروح والجسد

من اسرار الروح والجسد

تقدم بيان تعلق الروح بالجسد فى جميع اطوار النشأة الانسانية .

وتبين ان الروح لا تنفك عن الجسد فى اى من تلك الاطوار . بل لها فى كل طور نوع تعلق يعلمه الله ، حتى فى حالة الوفاة الكبرى حين يبلى الجسد .

والروح فى هذه الحالة تتعلق بالذرة الاصلية التى خلق منها الانسان ، ومنها يركب يوم القيامة ، هذه لا تبلى حين يبلى الجسد ، وانما لها تحول فى النشأة تصير به باذن الله قابلة لبناء الجسد عليها يوم القيامة بناء غير قابل لمرض ولا هرم ولا فناء ..

وهذه الذرة الاصلية هى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب » رواه مسلم .. وقد بينت وجه ذلك . واليوم ابين ان شاء الله مسألةحدوث الروح ووجه كون الجسد مطية لها .

فاقول والله المستعان :

الروح حادثة ، حدثت عند استعداد النطفة لها بعد مائة وعشرين يوما من بدء الحمل .

أما انها حادثة ، فمسألة من المسلمات اليقينيات ، اذ لا أول ليس لوجوده ابتداء الا الله ، وكل ما سواه سبحانه فمسبوق بالعدم ، ومخلوق بقدرة الله حين اراد الله .

واما انها حدثت عند استعداد النطفة لها فثابت بقوله صلى الله عليه وسلم « يجمع احدكم فى بطن أمه اربعين يوما نطفة ، واربعين يوما علقة ، واربعين يوما مضغة ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » متفق عليه .

فان قلت فما الذى جد حتى استعدت النطفة لاستقبال الروح ، ونحن لو اطلعنا على الجنين قبل النفخ بساعات أو بعده بساعات لانجد ما يميز لحظة النفخ عن غيرها من قبل ومن بعد ؟ ..

أقول : جهلنا بمراحل النشأة الرحمية وعدم قدرتنا على تحديد فارق عضوى يجعل الجسد مستعدا لقبول الروح هذا لا يمنع من صحة الحديث ، ولا يحول بيننا وبين التسليم بمقتضاه ، فالمعلوم أن النطفة منذ خلقت فى الرحم ، هى فى انقسام مستمر ، وتزايد متتابع ، وصيرورة دائمة لا تنقطع حتى بالموت ، فان الجسد يصير ترابا ثم يكون ما شاء الله .

فالجسد منزل الروح ، أو هو مركبة فى سفرة للقاء ربه ، وما كان هذا شأنه لا يليق استعماله قبل تمامه ، والجنين حين مرت عليه فى عالم الرحم اطوار الخلق الثلاثة صار مستعدا لاستعمال الروح له ، متهيئا لتعلقها به ، وسفرها الى الله عليه ، ونحن لا نعلم وجه كون الجنين

مستعدا لذلك فى لحظة معينة دون غيرها ، بل نحن نجهل كثيرا من حقائق تكون الجنين ، فاننا نحتاج لكى يتحقق لنا ذلك الى الحصول على جنين فى كل لحظة من لحظات نموه ثم يكون لنا من الاجهزة ما نعلم به سر النشأة ونوع تطور كل خلية ، والامران متعذران حتى الان ، فانه لا يتصور شق بطن الحامل لنستخرج منه الجنين فى اللحظة التى نرغب دراسة نشأته فيها ، ثم نكرر ذلك فى حوامل أخر حتى نستوفى مراحل نمو الجنين ، وقد امكن ذلك فى بعض الحيوانات اذ لا حرج فى ذبح بقرة مثلا فى مبدأ الحمل ثم نتبعها باخرى بعد لحظات ثم ثالثة ورابعة ، لذلك فان ما نعلمه من عالم النشأة الجنينية لا يعدو أن يكون مبادىء وظواهر وهو عن حقيقة الحق أبعد ، وصدق الله العظيم « **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** » .

وستظل هذه الحقيقة ، حقيقة جهل الانسان بحقائق الامور واسرار الوجود ، ستظل قائمة مستعلنة ، تفضح جهل الانسان بنفسه وكونه ، وتكسر من غروره مهما بلغ فى عمله .

اما تعذر ادراك الانسان لحقيقة مراحل النشأة الرحمية حتى لو تيسر الحصول على الاجنة فى مختلف اطوارها فيدل لذلك جهلنا المطبق باسرار الخلية الحية وهى فى متناول ايدينا واعيننا واجهزتنا .

فهل يكفينا هذا لنعود الى الله نسأله أن يرسم لنا منهاج حياتنا ، ويخط لنا مسار سلوكنا ، بما يتناسب وحقيقة

انسانيتنا ، أم سنظل هكذا شاردين ماردين ، كأننا حمر مستنفرة فرت من قسورة .

الجواب مانرى لا ما نستمع ..

والنتائج ما نتقلب فيه من الشقاء ونجزع .. « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى »** .

حياة .. وحياة :

ولنعد الى ماكنا فيه من بيان « حقيقة الانسان »

قلت ان الروح حدثت عند استعداد النطفة لها بعد ثلاثة أربعينات مرت عليها ..

ولم تكن قبل ذلك .

ومعلوم ان الجنين حى قبل نفخ الروح فيه ، فانه ينمو ويتغذى .

فما هذه الروح التى نفخت فيه .. ؟

أقول وبالله التوفيق : قد سبق القول ما يحيا به الجسد قبل النفخ يغاير ماحدث فيه باذن الله عند النفخ اذ الحادث فيه عندها هى الروح التى هى حقيقة الانسان، وحياة الجسد شرط لنفخ الروح فيه ، واستعمالها له ، بعد

تمام تسويته كما قال تعالى « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** (١) » وقوله « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى**(٢) »

فالجسد محل للحياة ، كما انه وما يحيا به محل لاستخدام الروح التى هى النفخة الالهية .

وهذا ماعناه الامام الدهلوى بقوله رحمه الله : « الجسد مطية للروح الهوائية والروح الهوائية مطية للروح الالهية » ويعنى بالروح الهوائية التى يحيا بها الجسد ويسميها « النسمة ».

وكما ان سلامة الجسد شرط لقبوله الحياة ، فكذلك حياته شرط لقبوله الروح الالهية .

التلفزيون

ويتبين ذلك بمثال : فلنتخذ من جهاز التليفزيون وسيلة للتوضيح .. ولنجعل الجهاز فى مقابلة الجسد .. والتيار الكهربائى السارى فى الجهاز فى مقابلة الروح التى يحيى بها الانسان .

فكما أن سلامة الجهاز شرط لاستقباله التيار الكهربائى .. كذلك سلامة الجسد شرط لاستقباله روحه الحيوانى .. وكما ان سريان الكهرباء فى الجهاز مع سلامة أجزائه شرط لظهور الصورة فيه ..

---

(١) السجدة : ٩

(٢) الحجر : ٢٩

كذلك حياة الجسد مع كمال تسويته شرط لنفخ الروح فيه .. وكما أن اى خلل فى اى جزء من الجهاز يحدث خللا فى الصورة أوالصوت بحسب أهمية الجزء التالف أو المختل .

كذلك اى خلل فى اعضاء الجسم الانسانى يحدث خللا أو نقصا فى بروز الروح الالهى ..

ويختلف ذلك باختلاف الخلل فى النوع والمقدار ..

فبينما لا تؤثر بعض أنواع الخلل على سلطان الروح، يحدث بعضها آثارا خطيرة ، كاضطراب نشاط الغددالصماء أو الاعصاب ، أو الخلايا المخية .

وقد تحتجب الصورة او الصوت مـــع كينونتهما فى الجهاز بالفعل ، ويحتاج ظهورهما الى ضبط أزرار خاصـــة على وجه مخصوص ، فيتم التنسيق والتوفيق ، ويظهر باذن الله ما كان خافيا ...

وكذلك فى الانسان ، تكون فيه روحه الالهية التى هى حقيقته ، ولكنها لا تظهر لاختلال فى المقاييس والضوابط ، وتخبط فى السلوك والاتجاه .

ولان هؤلاء لم تظهر فيهم روحهم الالهـــية وصـــفهم سبحانه بأنهم كالانعام .. ولانهم كفروا نعمة الله وخانوا أمانته بعد اذ حملوها حين برئت من حملها الانعام استحقوا أن يقال فيهم « بل هم أضل » ودليل كون الصوت فى الجهاز مع خفائه امكان تسجيله بوصل الجهاز مباشرة بالمسجل .

ودليل كون الروح الالهية فى الانسان الذى أخفاهـا بكفره أو اسرافه فى معصية ربه ، قبوله للتوبة ، واستعداد روحه للطهارة والنماء ..

قال تعالى : « **قد أفلح من زكاها** (١) » ..

ومن معانى الزكاة الطهارة والنماء

وكلاهما يدل على الظهور .. فتطهير الثوب الوسخ اظهار لحقيقته ..

وانماء الشيء اظهار له .. « **وقد خاب من دساها** » أى « أخفاها » .. فمن اذن فى الانسان . ولكنه ظلم نفسه فأخفاها .. وكما احتاج جهاز التليفزيون الى ضبط وتنسيق وتوفيق حتى تظهر الصورة بعد خفاء ..

فكذلك هنا — نحتاج الى ضبط وتنسيق وتوفيق حتى تبرز الروح الالهية بخصائصها السامية العلية ، حين تسلك سبيل المؤمنين ، وتهتدى الى صراط الله المستقيم ، وتدعو مع الداعين « **قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** (٢) »

---

(١) الشمس ٩

حقيـــقة الموت

وكما ان تلف الجهاز تلفا يتعذر معه سريان الكهرباء فيه يستلزم انفصال الصورة عن الجهاز .

كذلك تلف الجسد تلفا يتعذر معه بقاء الحياة فيـــه يستلزم نزع الـــروح منه .

وكما ان تلف الجهاز لا يعنى انعدام الصورة ..

كذلك تلف البدن لايعنى فناء الروح ..

وكما ان الجهاز يحتفظ بقدر من التيار الكهربى زمنا يسيرا بعد قطعه عنـــه ..

كذلك الجسد يحتفظ بقدر من الحياة بعد تحقيق الوفاة زمنا يسيرا ، حتى لو اقتطع منه جزء لامكن زرعه فى جسم انســـان آخر ، ولو تأخر الاستئصال دقائق لانقطعت الحياة عن الجسد وما عاد يصلح جزء منه للزرع فى غيره .

والى هذا المعنى اشار الامام الدهلوى فى حجة اللـــه البالغـــة حين قال رحمه الله : « وقد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لا انفكاك الروح عن النسمة (انتهى بنصه ص ٣٩) .

ويعنى بقوله « الموت انفكاك النسمة عن البـــدن » انقطاع مدد الحياة عنه ، وهو ما شبهته بانقطاع التيـــار الكهربائى عن الجهاز .

اما قوله « لفقد استعداد البدن لتوليدها » فيعنى به توقـف القـلب .

اما نفيه انفكاك الروح القدس عن النسمة ، فانه يرى ان الــروح — **الذى هــو حقيقة الانسان** — له بعد الموت تعلق بالروح التى يحيا بها الانسان .

ومن آياته سبحانه ان خلق لنا من دنيانا ما جعـلـه مثالا موضحا لـمـا غمض من الاسرار ، ودق فهمه عـلـى العقول واحتجب عن الابصار .

ولعل هذا من الادلة الواضحة على أن الله كما خلقنا خلق أعمـالنا ، وهو قولـه تعـالى « **والله خلقكم ومــا تعملون** » (١) .

ومما يدل كذلك على أن ما صنعت أيدينا هو من خلق بارينا قوله تعالى « **وآية لهم انا حملنا ذريتــهم فى الفــلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** (٢) »

فدلت الاية أن ما نركبه من السفن بصنعتنا فى الظاهر هو من خلق الله فى حقيقة الامر ..

---

(١) الصافات ٣٧ ٩٦

(٢) يس ٣٦ ٤٢ — ٤٢

وعليه نقيس كل ما سوى الله ، فانه من خلق الله ..

قال تعالى « **وخلق كل شيء فقدره تقديرا** (١) » ..

وفى صحيح البخارى « ان الله خلق كل صانع وصنعته » فليس فى الكون الا الله وافعاله .

ولو كره المشركون ..

والحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

(١) الفرقان : ٢

الفصل العاشر

خدعوك فقالوا ... العلم يحى الموتى

خدعوك فقالوا ... العلم يحيى الموتى

قالوا : العلم يحيى الموتى ..

قلت : كذبوا وربى ..

قالوا : بل أمكن ذلك ..

قلت : بل خرص ما هنالك ..

قالوا : الم يأتك نبـأ السمكة اذ جمدوها ، ثم أحيوها بعــد أن أماتوها .. ؟

قلت : نعم علمت ، وخبر ذلك عندى ، انهم وضعوا سمكة فى درجة حرارة منخفضة ، بلغت ثمان وتسعين ومائة تحت الصفر ، وهذه فيما يقولون تكفى لحفظ الخلايا حية أزمانا متطاولة ، ثم اعيدت الى سيرتها الاولى برفع درجة حرارتها ، وبشىء من الصدمات الكهربية عادت تسبح حية فى المــاء ، وهم بسبيل تجربة ذلك على الانسان ليتمكن من السفر زمنا طويلا فى الفضــاء ..

وزعموا انهم تمكنوا من خلق جنين فى رحم صناعى ..

وزادوا انهم تحققوا أن الموت لا يمنع عود الحياة الى الجسد ، فقد أمكن اعادة نبض القــلب بعد أن توقــف ، بتدليكه ، أو بصدمات كهربية على وجه مخصوص ..

فهذا وغيره فيما زعموا يجعل للعلم سلطانا علـى الحياة ، ولا يجعلها من صنع الاله ، تعالى الله عما يقولون علـوا كبـيرا ..

قلت : ما ذكروه من حياة السمكة بعـد تجمدها ، وتربية جنين فى رحم صناعى ، وعود القلب نابضا حيـا بعد موات .. هذا كله صحيح بشروطه وضوابطه ..

ولكنه لا يدل على ما زعموه من سلطان العلماء على الحياة .. وانما دلالته الوحيدة على احكام صنع اللـه ، وجهل الانسان بأسرار الحياة .. كمن وضع بذرة فى تراب فلما راها تنشق عنها الارض زعم انه الخلاق .

وكمثل النمروز اذ قال له ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه « **ربى الذى يحيى ويميت** » فقـال الجاهـل « **انا احيى واميت** » فادرك النبى الحكيم عليه الصـلاة والسلام انه **قد ابتلى بمعتوه احمق** يحسب قتل من يشاء « اماته » والعفو عمن يشاء « احياء » ، فلوى عنق الجدل عن معانى **الموت والحياة** ، وصرفه الى ما اذهله واطار لبه حين قال « **فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر** (١) » .

وابراهيم **عليه السلام** حين فعل ذلك انما طرق بابا

---

(١) البقرة ٢٥٨

من ابواب الحجاج لم يكشف لنا قبله ، واتى بوجه من وجوه الدفع أعجز النمرود عنده ...

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشـــاء ان ربك حكيم عليم (١) » .

ذلك أنه عليه السلام اشار الى ان ايتانا اى عمـــل مما يبـــدو أنه من خلقنا وانشائنا ليس هو كذلك فى الحقيقة وانما نحن مسلطون باذن الله أولا وآخرا على بعض الخلق بالتكوين ظاهرا ، ويمكنه الانسان أن يصل الى القمر أو أن يفعل ماهو أعجب من ذلك وابعد ، ولكنه على كل حال ما فعل أكثـــر من أنه اهتدى بهداية الله له الى الكشـــف عن بعض سنن الله فى الكون ، ثم ركب موجتها ، وامتطى خصيصتها ، ووصل باذن الله الى غايتها ، وليس له من الامر شيء الا أن الله هداه الى استعمال ما خلقه وسواه .

أما أن يخرج الانسان عن حد ما جعله الله فى دائرة مكنته ، أو أن يتحرر بقدرته عن قيـــد عبـــوديته فينشىء ذرة من عدم ، فهذا مالم يكن ، ولا يكون ، ولن يكون ، وخسر هنالك المبطلون ...

يا أيها الناس ضرب مثـــل فاســـتمعوا له أن الذين تـــدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان

---

(١) الانعام : ٨٣

يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منـــه ضـــعف الطـــالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز (٢)»

فظن النمروذ انه يحيى ويميت جهل منه بحقيقة نفسه ورق عبوديته ، وغفلة عن كونه مسلطا باذن الله على من يشاء من خلقه ، ابتلاء من الله له ، وابتـــلاء لقـــومه به **« ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون (٣) » «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ؟ » (٤) .**

فلما رآه نبى الله ابراهيم عليه السلام جاهلا بتـــلك الحقيقة أو معاندا لها ، لوى عنقه الى ما أخزاه وأخرسه ، وخلب لبه وابلسه ، فرماه بما لا طاقة له به ، يدعاه الى ما لا قدرة لبشر عليه ، وذلك حين سأله تبديل سنن الله فى الكون ، والخروج عما حده الله له ..

«قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشـــرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القـــوم الظـــالمين » .

وهذا هو الفيصل ..

---

(٢) الحج : ٧٣

(٣) الانبياء : ٣٥

(٤) الفرقان : ٢٠

فالله يخلق مايشاء بما يشاء وكيف شاء . لاكما شاء من يدعى الخلق والانشاء « ان الذين تدعــون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .

وهذا هــو الاساس ..

فما كان لله فهو لله .. وما كان لله وجعله لعباده فهو لهم باذن الله . ومن هذا السبيل ، أشرع أن شاء الله فى ابطال ما زعموه فقالوا « اسعلم يحيى الموتى » فأقــول والله المستعان ..

الجنين الصناعى

اما قولهم : امكن تربية جنين فى رحــم صــناعى ، فتغليط وتخليــط ..

اولا : لانهم ما احدثوا الحيوان المنوى ولا صنــعوا البويضة ، وانما حصلوا عليها من الانثى والذكر ..

وثانيا : ماهم احدثوا تلقيح الحيوان للبويضة ، وانما هو سعى باذن الله بما اودع الله فيــه من حياة ، سعى للالتقاء بالبويضة كما لو كان فى الرحم « **سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلا** » .

وثالثا : الانقسام والتكاثر الذى بدأ بعد اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة انما تم كما تتم كل عملية نماء فى الكون اذا

استجمعت شرائطها ، واستوفت ضوابطها ، وليس للانسان من ذلك البتة شيء ، ويسميه علماء المادة « الآلية » ونسميه نحن (القدرة الالهية) .

حتى المؤمنون فى زعمهم ، يرون أن الله خلق الكون وتركه يعمل آليا ، « أوتوماتيك » كما يصنع الصانع الالة ويديرها ثم يتركها تعمل بحولها وقوتها ..

ونحن نقول والحمد لله . لاحول ولا قوة الا بالله ..

فما خلق الله شيئا ثم خلاه ، ولو خلاه طرفة عين أو اقل من ذلك لانعدم لفوره ، فلا طاقة لموجود على البقاء لولا ابقاء الله له ، والمخلوقات أجمع ، كما احتاجت الى الله فى أصل ايجادها . هى مفتقرة فى دوام وجودها .

ورابعا : لم يمكن حتى الان الوصول بالنطفه الى مرحلة نفخ الروح ، بل ماتم لا يعدو أن يكون تكاثرا فى الخلايا غير منتظم ، وذلك لفقدان شرائط نمو الجنين ،ومنها ماهو غيب عنا لم تبلغه بعد مداركنا ، ولا اقطع بامكان علم ذلك أو عدمه ، اذ لا مانع من ادراكه شرعا ، ولكن مانعلمه اليوم أن علم الاجنة مازال طفلا يحبو ولم يبلغ أن يكون علما على الحقيقة ، والله اعلم بالحقيقة .

توقف القلب

اما قولهم : أمكن اعادة نبض الحياة الى القلب بعد ان توقف ، فأمر يحتاج الى بيان عدة حقائق :

فأولا : لا يزال الاطباء يجهلون حقيقة المـــوت ولا يعرفون اللحظة الفاصلة بين المـــوت والحياة على الحقيقة حتى يجيزوا لانفسهم استئصال جزء من الجسد الميت فور تحقيق موته لزرعه فى غيره قبل ان تموت خلاياه ، فهــم يزعمون ان الموت يبدأ بتوقف القلب عن العمل ، ويستبيحون لانفسهم فى هـــذه اللحظة استئصال ما يريدون استئصاله كالقلب مثلا ، وبناء على هذه النظرية يدعون نجاحهم فى امكان رد الحياة الى الجسد الميت باعادة نبض القلب أحيانا

وثانيا : بيننا وبينهم مسلمة علمية ، وحقيقة يقينيـــة : هى استحالة امكان عود القلب الى العمل اذا استمر توقفه فترة تموت فيها خلايا الجسم .

وثالثا : هـــذا يـــدل على أن اللحظة الفاصلة بـــين الموت والحياة ليست هى توقف القلب ، ولـــكن « تليف الخلايا » باصطلاح الاطباء ، وهذا لا يكون الا بعـــد فترة من الموت الظـــاهرى .

ورابعا : اذا تبين هذا علمنا ان اعادة القـــلب الى العمل قبل تليف الخلايا ليس اعادة للحيـــاة الى الجســـد الميت ، وانما هو تنشيط لعضو حى مازال مرتبطا باسباب الحياة باوهى الاسباب ، وقد يتم لهم ذلك او لايتم ، والامر كله لله ، شئنا أو ابينا ، رضينا أم كرهنا .

نبـا السمكة

اما توهم امكن احياء السمكة بعد اماتتها بالتجميد، فزعم منشؤه الجهل بحقيقة الموت على التحديد ، فقد تقدم ان الموت على الحقيقة هوتلف الخلايا ، وخلايا المخ خاصة وهذا قدر متفق عليه بيننا وبينهم ، وليس كما يزعمون انه امتناع القلب عن دفع الدم في العروق ، فاذا سلمت هذه الحقيقة الاخيرة ، فعودة القلب الى العمل بعد توقفه زمنا تحفظ فيه الخلايا حية بالتبريد ، لايدل على اكثر من امكان عزل الروح عن التصرف بالبدن بطريق تجميده ، ثم عودتها لتدبير بدنها فور زوال الموانع باذن الله ، وذلك كما ينعزل الروح عن التصرف بالبدن في حال النوم أو الاغماء أو التخدير ثم تعود باذن الله فور زوال تلك الموانع .

ومتى تبين هذا ، زالت تلك التلبيسات . وانحلت معها الاشكالات ، وظهرت آيات الله البينات وصدق الله العظيم . ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصـــفون)) .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفصل الحادي عشر

العقل السليم في الجسم السليم ... خرافة مضللة

العقل السليم فى الجسم السليم — خرافة مضلله

قيل : قد تناقضت بعض اقوالك ، وخالف الحقيقة بعضها الاخـــر ..

أما ماتناقض منها فقولك مرة ان « العقل السليم فى الجسم السليم خرافة مضللة » ثم عودتك » مرة أخرى الى القول بأن الروح تتأثر باضطراب بعض وظائف البدن على اعتبار أن الروح والعقـــل بمعنى واحد وهو « الجزء المدرك من الانسان » أو هو « الانسان على الحقيقة » .

واما ما خالف الحقيقة فقولك نقلا عن بعض علمائنا : « ان الله اذا خلق شيئا لا يعدمه » ثم ثنيت بقولك « وهذا يوافق ما أثبته علماء الطبيعة من أن المـــادة لا تفنى » .

قال الأخ الكريم : وهذا باطل ، فقد ثبت فناء المـــادة حين أمكن تحطيم الذرة ، وانما أراد علماء الطبيعة من قولهم السابق تكذيب ماجاء به الانبياء عليهم الصـــلاة والسلام من تقرير حقائق القيامة والبعث ، قال تعالى : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** (١) » وهم

(١) الرحمن : ٢٦ — ٢٧

يقولون : « المـــادة لا تفنى » فكذبوا وصدق رب العالمين ، وأما قول بعض علمائنا « ان الله اذا خلق شيئا لا يعدمه وانما يتحول فى الصورة فهو اجتهاد منهم قد اخطئوا فيه وان لم يريدوا بذلك ما أراده علماء المـــادة من قولهم « المادة لا تفنى » .

قال الاخ الكريم : وأما الخطأ الثانى فقولك ان النشأة الاخرى تخالف النشأة الاولى ، وقد ورد فى الحديث الصحيح ما يدل على أن الانسان يبعث على ما مات عليه .

فاقول والله المستعان : أما ما يبدو من التناقض فى قولى مرة « العقل السليم فى الجسم السليم خرافة مضللة » ثم عودى مرة اخرى الى القول باضطراب النفس لاضطراب بعض وظائف الجسم ، فهذا وهم منشوءه عدم الاحـــاطة بالمـــــراد . .

فابطالى للزعم بان « العقل السليم فى الجسم السليم » لا يعنى أن « العقل السليم فى الجسم السقيم » كما لا يعنى ان « العقل السقيم فى الجسم السليم » فقد تجتمع صحـــة الجسم مع سلامة العقل وقد يفترقان فيوجد أحدهما دون أن يستلزم وجوده الاخر . . وانما الذى اردته نفى التساوى بين الجسم والعقل — اى الروح — فى مظاهـــر القـــوة والضعف أو الصحة والمرض .

وقد اثبت برجسون أن هناك نوعا من فقدان الذاكرة الجزئى منشوءه خلل فى بعض خلايا المخ ، فى الوقت الذى شوهدت فيه نفس الاعراض على انسان ليس فى مخــه ادنى خـــلل .

وقد تحقق الاطباء اليوم من وجود أمراض خطـــيرة ليس لها اى سبب عضوى وانما هى نفسية خالصة ، كما ان ذات الاعراض قد يكون منشوءها خلل عضوى ..

ومن هنا نشأ اليوم مايسمى بالطب «السيكوسوماتى» الذى يربط بين الجسم والروح فى العلاج ، دون أن يستلزم ذلك التساوى بينهما حذو القذة بالقذة ، وان كان أصـــل التاثير المتبادل قائما ، ولكن بدرجات متفاوته ، والامر لله من قبل ومن بعـــد (*)

المـــادة لا تفنـــى

اما حكايتى عن علماء الطبيعة قولهم ان « المـــادة لا تفنى » فواضح أن مرادى غير مرادهم ان كان مرادهم نفى قدرة الله على الاعدام بعـــد الايجـــاد ، فاللـــه سبحانه وتعالى كما خلق من عدم قادر على اعادة المخـــلوق الى العدم ، بل لاطاقة لمخلوق البتة على البقاء زمنا فردا لولا ابقاء الله له ، فالاصل فى الاشياء كلها العدم ولا قيام لها من

ذاتهاالبتة ، وانما قيامها بالحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكل شىء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصدق بيت قالته العرب قول لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل .

أما قولك انه قد ثبت اليوم قبول المـــادة للفناء بامكان تحطيم الذرة فهذا يشتمل على حق وعلى باطل . .

أما الحق فقولك « قد ثبت قبول المـــادة للفنـــاء » فهذا ما نؤمن به ولا يمارى فيه مسلم كما بينت قبل قليل .

وأما استدلالك على ذلك بامكان تحطيم الذرة ، فهـــذا استدلال باطل ، ونحن لا ننتظر من العلم أن يأتينا ببرهان ما علمنا من الشرع يقينا ، فقد نتعلق من العلم ببرهان يبدو لنا اليوم قائما ، فاذا جاءنا الغد ببطلانه فما يكون موقفنا . ؟

أقول ذلك ، لان تحطيم الذرة هذا الذى استندت اليه ليس دليلا على امكان فناء المـــادة ، بل هو على العكس ، هو كشف أكد ماقاله بعض علمائنا بالالهام من أن الله اذا خلق شيئا لا يعدمه ولكنه يتحول فى الصورة .

فهذه الذرة حين تحطمت تحولت الى طاقـــة مساوية للمـــادة التى انطلقت منها ، والطاقة شىء له وجود وليست عدما ، فتبين بذلك أن الذرة لم تنعدم وانمـــا تحـــولت فى

الصورة كما يتحول المـــاء الى ثلج أو بخار بحسب العوامل المؤثرة فيه ، وقد يتحول الى عنصريه الاساسيين اللذين تركب منهما والعين واحدة والقدرة واسعة فسبحان مـــن قال وقوله الحق « وما قدروا الله حق قدره »

فعلماؤنا عليهم الرضوان ما ارادوا بقولهم المذكـــور النيل من مقام القدرة الالهية ، فهى عنـــدهم من المسلمات اليقينيات ، وانما أرادوا بيان سنة من سنن الله في الخلق، جعلها الله بارادته ، والله يحكم لامعقب لحكمه ولاراد لامره، سبحانه وتعالى عما يصفه المشركون ، ويشيع المرتابون . ويفترى المكذبون .

أما قولك ان النشأة الآخرة عند البعث لا تختلف عنها حين الموت لان الانسان يبعث على مامات عليه ، وانمايكون التغاير فى النشأة عند دخول الجنة والنار لاقبل ذلك لمـــا ورد فى الصحيح « يا أهل الجنة خلود بلا موت.، ويا أهل النـــار خلود بلا موت » .

وفى هذه الحالة يكون ضرس الكافر فى النار مثل جبل احـــد ، ويكون أهل الجنة طول أبيهم آدم ستين ذراعـــا فى الســـماء كما ورد .

فاقول فى جواب ذلك والله المستعان :

أما صفة أهل الجنة فى الجنة ، وصفة أهل النار فى النار ، فمن الجائز أنها أحوال تجد عليهم لم تكن لهم عنـــد البعث ولا قبل دخول الجنة أو النار ؟ وقد ورد ما يدل على ذلك ، اذ قد جاء فى الحديث الصحيح أن الشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه يثغب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، ثم لم يرد مايدل على استمرار تلك الحـــال فى الجنة ، فعلم أن حال البعث كما هو مغاير لمـــا قبله من الحياة الدنيا مغاير كذلك لمـــا بعده من المصير الى الجنـــة او النـــار .

أما القول بتماثل النشأتين الاولى والآخرة من كـــل وجه عند البعث ، وحصول التغير عنـــد دخول الجنة او النار وحســـب ، فقول لادليل عليه بل الدليل على خلافه قـــائم .

وأقرب مايدل لذلك ماذكرته من الحـــديث والذى جاء فيه « اللون لون الدم والريح ريح المســـك » وهـــذا فى حق الشهيد .

فواضح اختلاف النشـــأة هنا عنهـــا فى الدنيـــا ، فاللون هنا لون الدم والريح ريح المســـك ثم أن جـــرح الشـــهيد يثغب دما عند البعث ، وكانه يستمد من معين لاينضب ، بينما هـــذا الجرح بعينه هو سبب شـــهادته فى سبيل الله ، وأنتقاله من عالم الدنيا الى عالم البرزخ ثم

قد ورد من أهوال الحشر ما مثله يقتل لو كان فى الدنيا ، متبين بكل ذلك اختلاف النشأة وان كانت حقيقتنا واحـــدة لم تتغير ولا تتغير على تعدد النشآت وتغـــاير الحيوات كمـــا بينت فى فصل سابق والله الموفق .

فان قيـــل :

قد ذكرت ان العقـــل والروح والنفس الفاظ مترادفة لمعنى واحد وهو « الجزء المدرك من الانســان » الذى هو على الحقيقة « حقيقة الانسان » فما مستندك فى كون هذه الاسامى تؤدى معنى واحدا فى النهاية .. ؟

قلت وبالله التوفيق ..

العقل والنفس والروح ، والقلب كذلك ، الفـــاظ متعددة ، تؤدى معنى واحدا هو ما بينته ..

وهذا هو رأى الامام الغزالى رحمه الله فى مطلع الجزء الثالث من الاحياء ، ولغيره رأى آخر .

وبالنظر فيما كتب يتضح رجحان قولـــه فى معانى تلك الاســـامى ، وساعود الى بيان ذلك فى مقالة قادمـــة ان شاء الله ، واكتفى اليوم بالاشارة بايجاز الى وجـــه اتحادها فى المعنى .

فاقـــول :

أما الروح فواضح مما ورد فيهما من حيث دلالتها

على حقيقة الانسان ، ولاتكون حقيقة الانسان الا شيئا قادرا على الادراك والمعرفة اذ بوجودها فيه استعد لحمل الامانة واداء التكاليف ..

واما العقل فواضح دلالته على الجزء العاقل من الانسان ولا يكون الا للروح .

وأما النفس فيدل لحملها معنى الروح قوله تعالى .

« **يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » (١) وواضح ان هذا الخطاب للروح الانسانى .

واما القلب فيدل لما قلت قوله تعالى :

« **لهم قلوب لا يفقهون بها** » (٢) فنسب سبحانه الفهم الى القلب ، ومعلوم ان هذه المضغة من اللحم ليست هى الموصوفة بذلك ، وانما الوصف لمن شأنه أن يفقه ثم لم يفقه وهذا لا يكون الا للروح خاصة والله اعلم بالحقيقة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الفجر : ٢٧ وما بعدها

(٢) الاعراف : ١٧٩

الفصل الثاني عشر

ونفس وما سواها
فألهمها فجورها وتقواها

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها

الناس متفاوتون .. فمنهم أنبياء مرسلون .. ومنهم كفرة متمردون .. ومنهم من بهؤلاء أو هؤلاء يقتدون .

ويقينا .. ما كان أنبياء الله أنبياء بكسبهم ، ولكن .. بفضل الله لهم ..

فهل كان الكفرة كذلك باكتسابهم ؟ أم بعدل الله فيهم .. ؟

الجواب حاضر مستقيم .. لا يقبل مجمجة ولا لجلجة .. « بل بعدل الله فيهم » .

فلو قلنا : بمحض اكتسابهم تحددت صفاتهم ، امطأنا ، وضللنا ..

وان قلنا : بل باكتسابهم ما اقتضته جبلتهم ، ودعت اليه طبيعتهم ، أصبنا واهتدينا ..

ويقينا كان الامر كذلك .. ويقينا كذلك . اضل الله من شاء من خلقه بعد له ..

سبحانه وتعالى ان يظلم مثقال ذرة ..

فان قلت : وفيم كان ذلك .. ؟

قلنا : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ..

فان قلت : هذا ظلم لا يكون .

قلنا : بل هو جهل منكم وظنون .. فنحن لانحكم على الله بمقاييسنا ، ولو انكشف الغطاء لعرفنا الحق بجلاء ..

« قل فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم اجمعين » (١) .

والانعام خلقها الله لنا ، فيها دفء ومنافع ، فلو ذهبت تقيس الحق بمقاييسها ، فما أظنها ترى العدل فى ذبحها وسلخها ..

والمستنكرون من الناس ان يفعل الله ما يشاء بخلقه فيعذب من يشاء بعدله ، ويرحم من يشاء بفضله ، انما مثلهم كمثل الانعام ، وحسبهم بذلك من المثال .

ولامر ما قال سبحانه « أولئك كالانعام بل هم اضل » .

فان قلت : وما دليلك على مازعمت .. ؟

أقول وبالله التوفيق : الادلة على ماحكيت متضافرة ،

(١) الانعام : ١٤٩

وعلى تقرير معناه متوافرة ، واجماع اهل الحق من الامة منعقد ، كره ذلك من كره ؛ ورضيه من رضى ، والله الهادى لارب غيره ولا اله سواه .

فمن ذلك . ما رواه البخارى ومسلم عن أبى بن كعب قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ، ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا » .

قلت : وهو صريح فى اثبات المصير ، وتقرر ذلك منذ بداية النشأة فى الرحم ، والقدر على ذلك سابق ، وعلم الله وارادته اسبق ، بل لا مبتدأ لعلمه سبحانه او ارادته ، وبمقتضى علمه وامره جرى القلم بعدله وفضله ثم كان الخلق على ما سبق به القدر الحق ، وبمقتضى الطينة عند بداية النشأة تقررت المصائر ، فكان غلام الخضر كافرا جبلة ونشأة ، عدلا من الله وحكمة .

ويؤيد ماحكيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من سعد فى بطن امه » ذكره ابن القيم فى شفاء العليل من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . .

وبهذا المعنى وردت احاديث كثيرة مقطوع بصحتها والحمد لله .

رجلان من مزينــة :

ولعل من أصرح ما جاء فى البـــاب واقطعه للشـــبهة ما رواه مســـلم فى صحيحه عن أبى الاسود الدؤلى قال : قال لى عمران بن حصـــين : « أرأيت ما يعمـــل النـــاس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى عليهم ، ومضى فيهم ، من قدر قد ســـبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم بـــه نبيهم ، وثبتت الحجة عليهم » .. ؟

فقلت : « بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم » .

قال عمران : « أفلا يكون ظلما » ؟

قال أبو الاسود : ففزعت من ذلك فزعا شـــديدا وقلت : « كل شىء خلق الله وملك يده ، فـــلا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

فقـــال لى : « يرحمك الله ، انى لم أرد بما سألتك الا لاحرز عقلك ، ان رجلين من مزينة أتيا رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقالا :

« يا رســـول الله ، أرأيت ما يعمـــل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى فيهم من قـــدر قد ســـبق ، أو فيما يســـتقبلون مما أتاهم به نبيهم ، وثبتت الحجة عليهم ؟ ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل شيء قضي عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها) (١) .

وجه الدلالة ..

قلت : والحديث يدل على ما قدمت من وجوه عدة لمن تدبره ورزقه الله فهمه .. فمن ذلك :

(أ) سؤال عمران لابى الاسود على وجه الاختيار ليستخرج ما عنده من مسالة القدر واجابة ابى الاسود بتوفيق الله له بما يوافق ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسالة ، ففى ذلك دليل على اتفاق السلف من الصحابة والتابعين على الايمان بسبق القضاء بالسعادة او الشقاء .

ومن ذلك :

(ب) كون عمران قد اورد اشكالا على ابى الاسود بقوله « افلا يكون ظلما » أى ما قلته من سبق القضاء ، وهذا يدل على أن عمران فهم من تسليم ابى الاسود بسبق القضاء كونه ملزما للعبد بسلوك ما أمضى عليه من السعادة او الشقاء ..

---

(١) الشمس : ٧ — ٨

ويدل لذلك :

اقرار أبى الاسود لعمران فى فهمه لقوله بسبق القضاء مما يتوهم معه نسبة الظلم الى الله ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ويدل لاقراره بهذا الفهم لعمران قوله : « كل شىء خلق الله وملك يده ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون » . فلو لم يقره على توهم الظلم بسبق القضاء لكان جوابه : « ليس هذا ظلما ، لان الله كتب ما علم من بنى آدم انهم عاملون » كما يقول المعتزلة ومن وافقهم من علماء زماننا غفر الله لنا ولهم آمين : ومن ذلك :

(ج) موافقة عمران لابى الاسود بقولة : « يرحمك الله ، انى لم أرد بما سألتك الا لاحرز عقلك » ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصوب اجابة أبى الاسود ..

ومن ذلك :

(د) ورود النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم على تفسير قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » فانه استعمال الله تعالى العبد بما سبق به القضاء ويؤكد ذلك رواية أخرى للحديث السابق أوردها ابن

القيم فى شفاء العليل الباب الثالث عشر ، فقد قال رحمه الله :

الصواب ما قاله ابن زيد قال « جعل فيها فجورها وتقواها » وعليه حديث عمران بن حصين أن رجلا من مزينة او جهينة اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ارايت ما يعمل الناس فيه ويكدحون ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم ؟ قال : بل شىء قضى عليهم ومضى ، قال : ففيم العمل ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خلقه الله لاحدى المنزلتين استعمله بعمل اهلها ، وتصديق ذلك فى كتاب الله « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » .

قال ابن القيم :

فقراءته هذه الاية عقيب اخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالالهام استعمالها فيما سبق لها لامجرد تعريفها ، فان التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر ، ومن فسر الاية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فانه لا يسمى الهاما وبالله التوفيق » .

انتهى بنصـــه :

فان قـلت :

قد قـــال تعالى عقيب قوله « فألهمــها فجــورها وتقواها » « قـــد أفلح من زكاها » فنســـب التزكية الى صاحب النفس ..

قـــلت :

قـــد أورد الطبـــرى فى تفســـيره عن ابن عبـــاس رضى الله عنهمـــا قوله « قد أفلح من زكى الله نفسه » .

وقد جاء عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعـــاء قولـــه : « اللهم آت نفسى تقواها وزكهـــا أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » .

فهل بعد ذلك من حجة وبيان .. ؟

أم وراء ذلك توضح وتبيان ..

الحمـــد لله .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

المطبعة الفنية
٢٢ شارع الشقفانية — عابدين
تليفون ٩١١٨٦٢

رقم الايداع بدار الكتب
٨٠/٤٤٢٩